تَوَاتُرُ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ

تأليف
الأستاذ الدكتور
جمال مصطفى عبدالحميد النجار
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بكلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى بمكة الكرمة

....

بحث منشورمحكم من الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة
كلية التربية جامعة عين شمس بالقاهرة
عضو الجمعية الدولية
٢٠١٧م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

الحجر: ٩

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ونبينا محمد ابن عبد الله ، المبعوث رحمة للعالمين ، صلِّ اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، صلاة وسلاما وبركة، عدد خلقك ، ورضا نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك ، وعدد معلوماتك ، كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون .

أما بعد : فإن القرآن الكريم روح هذه الحياة ونورها ، وهو الصراط المستقيم إلى جنات النعيم ، ورضوان من الله أكبر ، ذلك هو الفوز العظيم .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ الشورى .

ولما كان القرآن الكريم بهذه المرتبة ، فإن أول ما يتطرق إلى ذهن أي مسلم هو : هل هذا القرآن الذي بين أيدينا هو هو الذي أنزله الله تعالى على نبيه سيدنا محمد ﷺ وأنه قد وصل إلينا كاملا ، كما أنزل كاملا ، فلم يتعرض لزيادة أو نقصان ، أو لأي صورة من صور التغيير ، على مر العصور والأزمان ؟

من هنا جاء هذا البحث .

أهمية البحث

تتلخص أهمية هذا البحث فيما يأتي :

١- بيان أن القرآن الكريم ، لم يتعرض لما تعرضت له الكتب السابقة ، من الزيادة والنقصان ، والتبديل والتحريف .

٢- وضع الثقة واليقين في قلب كل المسلمين ، من خلال بيان أن هذا القرآن وصل إلينا كاملا غير منقوص ، لا تبديل فيه ولا تحريف ، نقله إلينا الثقة العدول ، بأعداد

لا يمكن حصرها ، في كل طبقة من الطبقات ،على مر العصور والأوقات ، ليتحقق وعد الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩

٣ـ الرد على أبرز الشبهات التي تطعن في تواتر القرآن الكريم .

سبب كتابة هذا البحث

يرجع سبب كتابة هذا البحث إلى أمرين :

الأمر الأول : أنه أسند إليَّ في العام الماضي ١٤٣٦/١٤٣٧هـ تدريس منهج علوم القرآن لأحد المستويات في جامعة أم القرى ، وكان من ضمن مفردات المقرر موضوع (تواتر القرآن الكريم) ، فلما أردت جمع المادة العلمية لهذا الموضوع لم أجد من كتب فيه كتابا مستقلا ، أو حتى بحثا منفردا ، حسب علمي ، فأردت أن أكتب فيه بحثا مستقلا ، عسى الله أن ينفع به مؤلفه ، أو ينتفع به طلاب العلم ، أو بعض الزملاء ، في توفير بعض وقتهم في تحضير هذا الموضوع ، لو رأوه صالحا .

الأمر الثاني : المساهمة في نشر ما يتعلق بكتاب الله تعالى ، في شرح موضوعات أو في الرد على الشبهات .

والظن في الله يقين ، بأن ينفع الله به صاحبه ، وكل من قرأه ، بإذن الله رب العالمين .

خطة البحث

وقد جاء هذا البحث مكونا من :

مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

<u>أما المقدمة :</u> فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، وسبب الكتابة فيه ، وخطة البحث

<u>وأما التمهيد :</u> فقد اشتمل على بيان معنى المتواتر ، وأقسامه ، وشروطه ، وحكمه وبيان معنى تواتر القرآن الكريم .

<u>وأما الفصل الأول :</u> فيحمل عنوان : تواتر القرآن الكريم عن طريق الحفظ في الصدور

ويشتمل على مبحثين .

<u>المبحث الأول :</u> حفظ النبي ﷺ القرآن .

المبحث الثاني : تواتر القرآن الكريم حفظا عند الصحابة رضي الله عنهم .

وأما الفصل الثاني : فيحمل عنوان : تواتر القرآن الكريم كتابة .

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : كتابة القرآن الكريم في العهد النبوي .

المبحث الثاني : تواتر القرآن الكريم كتابة في العهد البكري .

المبحث الثالث : تواتر القرآن الكريم كتابة في العهد العثماني .

وأما الفصل الثالث : فيحمل عنوان : شبهتان في تواتر القرآن الكريم ، والرد عليهما من خلال مبحثين .

المبحث الأول : الشبهة الأولى . دعوى حصر الحفاظ من الصحابة في العهد النبوي في أربعة فقط .

المبحث الثاني : الشبهة الثانية . دعوى عدم تواتر آيتي آخر سورة التوبة ، وآية الأحزاب

وأما الخاتمة: فتتضمن أهم النتائج التي انتهى إليها البحث .

ثم ذُيِّل البحثُ بأهم المراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث .

أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت في بيان أهم زوايا الموضوع ، كما أسأله عز وجل أن يكون هذا البحث في ميزان حسناتي ، وحسنات والدَيَّ ، وأساتذتي ، في يوم يقول فيه تعالى ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ آل عمران: ٣٠

إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أ.د/ جمال مصطفى عبدالحميد عبدالوهاب النجار

مكة المكرمة

ليلة الجمعة : غرة ذي الحجة ١٤٣٧هـ

الموافق : ٢ سبتمبر ٢٠١٦م

تمهيـــــــــــــــــــــد

معنى المتواتر، وشروطه ، وحكمه

قبل أن نخوض في غمار الحديث عن تواتر القرآن الكريم، يحسن بنا ـ حتى نسير على بينة وبصيرة في بحثنا ـ أن نتعرض لبعض نقاط تمهيدية ، كبيان معنى المتواتر لغة واصطلاحا ،وأقسامه ، وشروطه ،وما العلم الذي يفيده المتواتر ،وما حكم قبوله والعمل به ؟ وتعريف القرآن لغة واصطلاحا .

فإلى الحديث عن تلك النقاط .

المتواتر لغة : اسم فاعل ، مأخوذ من المواترة ، وهي المتابعة.

يقول ابن منظور : والمواترة : المتابعة ، ولا تكون المواترة بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فترة ، وإلا فهي مداركة ومواصلة ، ومواترة الصوم : أن يصوم يوما ويفطر يوما أو يومين ، وقوله تعالى﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾المؤمنون ٤٤ من تتابع الأشياء وبينها فجوات وفترات ، لأن بين كل رسولين فترة " [١]

المتواتر اصطلاحا :

عرف العلماء الخبر المتواتر أو الحديث المتواتر بأنه : ما رواه جمع ، يحصل العلم الضروري بصدقهم ، بحيث لا يمكن اتفاقهم على الكذب ، عن مثلهم ، من أول السند إلى آخره ، وكان مستندهم الحس ، أي السماع أو المشاهدة . [٢]

---

[١] ـ لسان العرب (وتر) .

[٢] ـ انظر في ذلك : نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ، في مصطلح أهل الأثر ، للحافظ ابن حجر العسقلاني : ٣٧ ، ٣٨ ط سفير بالرياض ١٤٢٢هـ ، تحقيق عبد الله ال رحيلي ، والتقريب والتيسير لمعرفة سنن البشيروالنذير في أصول الحديث ، لمحيي الدين النووي : ٨٥/١ ط دار الكتاب العربي ببيروت ، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي :٦٢١/٢ ط دار طيبة ، والحديث والمحدثون ، للشيخ محمد محمد أبو زهو :٢٤/١ ط دار الفكر العربي بالقاهرة ١٣٧٨هـ ، ومنهج النقد في علوم الحديث لنور الدين عتر ٤٠٤/١ ط دار الفكر بدمشق ط الثالثة : ١٩٩٧م

أقسام المتواتر

ينقسم المتواتر إلى قسمين :

١ـ متواتر لفظي : وهو ما تواتر لفظه ، أي أن ألفاظ الحديث نفسها ، رواها في كل طبقة عددُ التواتر . مثل حديث " من كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[٣] حيث رواه من الصحابة سبعون رجلا ، رضي الله عنهم .

٢ـ متواتر معنوي: وهو ـ كما يقول السيوطي ـ في كتابه (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي)ـ :" أن ينقل جماعةٌ يستحيل تواطؤُهم على الكذب ، وقائعَ مختلفةً تشترك في أمر ، يتواتر فيها ذلك القدر المشترك ، كما إذا نقل رجل عن حاتم مثلا أنه أعطى جملا ، وآخرُ أنه أعطى فرسا ، وآخرُ أنه أعطى دينارا ، وهلم جرا . فيتواتر القدرُ المشتركُ بين أخبارهم ، وهو الإعطاء ، لأن وجوده مشترك بين جميع هذه القضايا .

وذلك أيضا يتأتى في الحديث ،فمنه ما تواتر لفظه ، ومنه ما تواتر معناه ، كأحاديث رفع اليدين في الدعاء، فقد روي عنه ﷺ نحو مائة حديث ، فيها رَفْعُ يديه في الدعاء وقد جمعتها في جزء ، لكنها في قضايا مختلفة ، فكل قضية منها لم تتواتر،والقدر المشترك فيهاـ وهوالرفع عند الدعاء ـ تواتر باعتبار المجموع " [٤]

شروط التواتر

اشترط العلماء للتواتر الشروط الآتية :

١ـ كثرة الرواة .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

" وتلك الكثرة أحد شروط التواتر ، إذا وردت بلا حصر معين ، بل تكون العادة قد أحالت تواطؤهم على الكذب ، وكذا وقوعه منهم اتفاقا من غير قصد ، فلا معنى لتعيين العدد في الصحيح .

ومنهم من عينه في الأربعة ، وقيل في الخمسة ، وقيل في السبعة ، وقيل في العشرة وقيل في الاثني عشر ، وقيل في الأربعين ، وقيل في السبعين ، وقيل غير ذلك .

---

[٣] ـ البخاري :كتاب العلم ،باب إثم من كذب على النبي ﷺ٣٣/١برقم :١٠٨ ، ومسلم : مقدمة صحيحه ، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ١٠/١برقم :٤.

[٤] ـ تدريب الراوي للسيوطي : ٢/ ٦٢١ .

وتمسك كل قائل بدليل جاء فيه ذكر ذلك العدد ، فأفاد العلم ، وليس بلازم أن يطرد في غيره ، لاحتمال الاختصاص . " [٥]

يقصد الحافظ أن من عَيَّن العدد بالأربعة مثلا ،لوجودهذا العدد في قضية القذف ، فإن هذا العد يفيد العلم في تلك القضية خاصة ، لا في التواتر بصفة عامة، وهكذا كل عدد

ذكر في قضية ما ، كالعدد اثني عشر، نقباء بني إسرائيل . أو السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه .

٢ـ أن تكون تلك الكثرة مصاحبة للسند من أوله إلى آخره ، بحيث لا تخلو طبقة في السند من تلك الكثرة .

٣ـ يكون مستند هذا العدد في كل طبقة الحس ، لا العقل .

والمراد بالحس : المشاهدة والسماع . ومعنى (لا العقل) الأمور الثابتة بالعقل المحض ولا تتوقف على السمع والمشاهدة .

٤ـ أن يفيد الخبر العلم لسامعه .

قال ابن حجر : " فإذا ورد الخبر كذلك (أي بهذه الكثرة) ، وانضاف إليه أن يستوي الأمرفيه في الكثرة المذكورة ، من ابتدائه إلى انتهائه ، وأن يكون مستند انتهائه الأمر المشاهد أو المسموع ،لا ما ثبت بقضية العقل الصِّرْف ، كالواحد نصف الاثنين ، فهذا هو المتواتر ."

ثم يؤكدابن حجر على هذا المعنى فيقول :"فإذا جمع هذه الشروط الأربعة، وهي :

١ـ عدد كثير أحالت العادة تواطؤهم ، أو توافقهم على الكذب .

٢ـ ورووا ذلك عن مثلهم ، من الابتداء إلى الانتهاء .

٣ـ وكان مستند انتهائهم الحس .

٤ـ وانضاف إلى ذلك أن يصحب خبرهم إفادة العلم لسامعه ، فهذا هو المتواتر "[٦]

ما العلم الذي يفيده المتواتر؟

العلم الذي يفيده المتواتر هو العلم الضروري ، وهو اليقيني الذي لا يستطيع الإنسان رده ، ويحصل للجميع ، يستوي فيه العالم والأمي .

يقول ابن حجر : " وهو المفيد للعلم اليقيني ، فأخرج النظريَّ على ما يأتي تقريره بشروطه التي تقدمت ، واليقين : هو الاعتقاد الجازم المطابق "

---

[٥] ـ نزهة النظر : ٣٧ ، ٣٨

[٦] ـ نزهة النظر : ٣٨

ثم يوضح ابن حجر كلامه هذا فيقول :" خبر التواتر يفيد العلم الضروري ، وهو الذي يضطر الإنسان إليه ، بحيث لا يمكنه دفعه ، والعلم بالتواتر حاصل لمن ليس له أهلية النظر ، كالعامي ،إذ النظر : ترتيب أمور معلومة أو مظنونة ، يتوصل بها إلى علوم أو ظنون ، وليس في العامي أهلية ذلك " .[٧]

حكم المتواتر

المتواتر أعلى درجة في الأخبار، لأنه يفيد اليقين ، نتيجة كثرة الأعداد الناقلة له

مع استحالة تواطئهم على الكذب .من هنا : وجب التصديق به ، والالتزام بمضمونه ، فعلا أو تركا .

تعريف القرآن لغة واصطلاحا

<u>القرآن لغة :</u> مصدر مرادف للقراءة ، تقول : قرأ قراءة ، وقرأ قرآنا ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة ، أي إنا نضمن لك نقشه في قلبك ، كما نضمن لك قراءته ،أي نجعلك تقرأه بسهولة ، دونما أدنى صعوبة ، فإذا قرأه عبدنا جبريل فاستمع لقراءته .

فهو مصدر على وزن (فُعْلان) كالغفران والشكران ، سمي المقروء به ، تسمية للمفعول بالمصدر .

<u>وأما معناه اصطلاحا:</u> فقد انتقل في اصطلاح العلماء من كونه مصدرا ، إلى كونه عَلَمًا على الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ ، فصار كالعَلَم الشخصي له .

ولذلك : يمكننا القول بأن القرآن هو :

"كلام الله تعالى ،المنزل على النبي محمد ﷺ ،المتعبد بتلاوته ،المنقول إلينا بالتواتر "

والمراد بالمتعبد بتلاوته : أي المأمور بقراءته في الصلاة وخارجها ، على وجه العبادة ، فلا تغني الأحاديث القدسية ، أو النبوية عنه في الصلاة .

وقولنا : (المنقول إلينا بالتواتر) يخرج قراءة الآحاد ، فلابد من التواتر في أي قراءة من القراءات .

معنى تواتر القرآن الكريم

وبناء على ما سبق : فإن بإمكاننا أن نقول :**<u>إن تواتر القرآن معناه</u>** : أن القرآن الكريم قد رواه جمع يحصل العلم الضروري بصدقهم ، بحيث لا يمكن اتفاقهم على

---

[٧] ـ المصدر السابق : ٣٨، ٤١

الكذب ، عن مثلهم ، من أول العهد النبوي إلى الآن ،وإلى يوم الدين ، وكان مستندهم الحس، وهو السماع ، والمشاهدة.

والمراد بالسماع : أنهم سمعوه بآذانهم ، وحفظوه في قلوبهم .

والمراد بالمشاهدة : أنهم رأوه مكتوبا أمام أعينهم ممن سبقهم ،على النحو الذي كتب به بين يدي النبي ﷺ ، ونقلوه لمن بعدهم مكتوبا كذلك .أي أن القرآن الكريم له تواتران ، تواتر سماعي محفوظ في الصدور ، وتواتر كتابي مدون في السطور .

المُعَوَّلُ عليه في تواتر القرآن هو التواتر السماعي ، لا التواتر الكتابي

ومما تجدر الإشارة إليه أن التواتر المعول عليه هو التواتر السماعي ، لا التواتر الكتابي ، أي أن القرآن الكريم لو تناقله الحفاظ ، مشافهة من طبقة إلى طبقة بالشروط المذكورة سابقا ، ولم يكتب مطلقا ، فإن التواتر قد ثبت له ، وأفاد العلمَ اليقينيَّ بصحة ثبوته عن الله عز وجل .وما ضَرَّ ذلك صحتَه وتواترَه في شيء.

أرأيت لو أن رجلا اقترض من رجل مالا ، وشهد على ذلك عدد التواتر ، ولكن لم يُكتب هذا الدَّيْنُ ، هل من حق المدين إنكارُ الدَّينِ مع وجود شهود بعدد التواتر ؟

قال ابن الجزري : " ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور ، لا على حفظ المصاحف والكتب "[٨]
وقال القسطلاني في لطائف الإشارات :" الاعتمادعلى الحفظ ، لاعلى مجردالخط "[٩]

هل من شرط التواتر أن يحفظ عددُ التواتر القرآنَ كلَّه من أوله إلى آخره ؟

قد يظن بعضهم من تعريف التواتر أنه لا بد لعدد التواتر أن يحفظ كلُّ فرد منه القرآنَ الكريم كله ، من أوله إلى آخره ، وهذا فهم خاطئ .
فتواتر القرآن لا يشترط فيه ذلك ، بل لو حفظ كلَّ سورةٍ منه ، أو جزءًا منها عددٌ يحصل به التواترُ لكفي ذلك في تواتر القرآن الكريم كله ، حتى لو لم يحفظ هذا العددُ غيرَ تلك السورةِ ، أو غيرَ ذلك الجزءِ .
يقول القاضي أبوبكر ـ كما جاء في عمدة القارئ :
" ليس من شروط التواتر أن ينقل جميعُهم جميعَه ، بل لو حفظ كلَّ جزء منه عددُ التواتر لصار الجميع متواترا ، وقد حفظ جميعَ أجزائه مئون لا يُحْصَوْن " [١٠]
ويؤكد المازري هذا المعنى ، كما ينقل عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري فيقول :
" ليس من شروط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكلُّ الكلَّ ، ولو على التوزيع كفى " [١١]

---

[٨] ـ النشر : ٦
[٩] ـ لطائف الإشارات : ٦٤
[١٠] ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني:٢٠٩/١٦ ط مصطفى الحلبي .
[١١] ـ فتح الباري : ٦٦٩/٨ طبعة الريان بالقاهرة .

الفصل الأول

تواتر القرآن الكريم عن طريق الحفظ في الصدور

تواتر القرآن الكريم حفظا في الصدور منذ نزول جبريل به ، من الله على قلب رسول الله ﷺ إلى الآن ، وسيظل متواترا ، بأعداد لا يمكن الإحاطة بها إلى يوم الدين .

المبحث الأول : حفظ النبي ﷺ القرآن

فقد كان ﷺ حريصا على ترداد ما يسمعه من جبريل عليه السلام أثناء تلقيه عنه فنهى الله نبيه ﷺ عن ذلك ، وطمأنه ، وأنه يجب عليه أن يسمع وينصت لجبريل عليه السلام أثناء نزوله بالقرآن ، وعقب فراغ جبريل عليه السلام من الوحي سيجد النبي ﷺ هذا الذي أنزل عليه مجموعا في صدره ، فصيحا به لسانه ، كما سمعه، واضحا معناه كما أراده الله جل في علاه .

أخرج البخاري بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ القيامة ، قال :" كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ، وكان يعرف منه فأنزل الله الآية التي في (لا أقسم بيوم القيامة) ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ القيامة ، قال : علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه .

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة فإذا أنزلناه فاستمع .﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة

علينا أن نبينه بلسانك ، قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله "[١٢]

هكذا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، أن الرسول ﷺ التزم ما أمر به ، فأنجز الله وعده ، فكان يقرأ كما سمع من جبريل .

ويبين لنا كل من أنس بن مالك خادم النبي ﷺ ، وأم سلمة زوج الرسول ﷺ كيفية قراءة النبي ﷺ .

---

[١٢] ـ البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة القيامة .حديث رقم ٤٩٢٩

أخرج البخاري عن قتادة قال :" سئل أنس ، كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال : كانت مدًّا ، ثم قرأ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ يمد ببسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم "[13]

وأخرج الترمذي عن يعلى بن مَمْلَك أنه سأل أم سلمة زوج النبي ﷺ عن قراءة النبي ﷺ وصلاته ، فقالت : ما لكم وصلاته ؟ كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ، ثم يصلي قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى ، حتى يصبح ، ثم نعتت قراءته ، فإذا هي تنعت قراءته ، مفسرة ، حرفا حرفا "[14]

وأخرج أبوداود بإسناده عن أم سلمة رضي الله عنها:" أنها ذكرت ـ أو كلمة غيرها ـ قراءة رسول الله ﷺ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ الفاتحة ، يقطع قراءته آية آية "[15]

العوامل التي ساعدت رسول الله ﷺ على حفظ القرآن الكريم

وجدت عوامل كثيرة لذلك ، نقتصر منها على أهمها :

١ـ ضمان الله لنبيه ﷺ جمعَ هذا القرآنِ في قلبه ، كما مر آنفا .

ولو لم يوجد من العوامل إلا هذا العامل فقط لكفى .

٢ـ إملاؤه ﷺ القرآن على كتبة الوحي .

فإن من تلقى شيئا ، وحفظه جيدا ، ثم أملاه على غيره ، كان ذلك أقوى له حفظا وأشد تثبيتا .

٣ـ تنجيم القرآن على قلبه الشريف ﷺ .

فمعلوم أن القرآن استمر نزوله في حوالي ثلاثة وعشرين عاما ، وهذه المدة كفيلة بحفظه حفظا لا يعدله حفظ .

وإلى هذه الحكمة يشير قوله تعالى﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان

٤ـ إيجاب الله على رسوله ﷺ تبليغَ هذا القرآن لأمته .

---

[13] ـ صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب مد القراءة .حديث رقم ٥٠٤٦

[14] ـ سنن الترمذي ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف كانت قراءة النبي ﷺ ١٨٢/٥ رقم٢٩٢٣ .

[15] ـ سنن أبي داود : أول كتاب الحروف والقراءات ، ١٢٤/٦ رقم ٤٠٠١ .

فكيف يبلغه وهو غير حافظ له ؟ خاصة أن القرآن لا يمكن تبليغه إلا بالمشافهة

٥ـ أمية الرسول ﷺ .

فمن شأن الأمي الاعتماد على ذاكرته ، خاصة إذا كان يعيش بين أميين مثله .

٦ـ حب الرسول ﷺ لربه ،بصورة لا يتخيلها عقل ،ومعلوم أن المحب أحرص ما يكون على حفظ كلام من يحبه ، خاصة إذا كان هذا الكلام فيه سعادته ونجاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة .

٧ـ تعبده ﷺ بالقرآن في جميع صلواته ، فريضة كانت أو نافلة ، بصورة فوق تحمل أي بشر ، للدرجة التي جعلته يقرأ القرآن ناسيا أكله وشربه وتتورم قدماه ، ولما سئل عن ذلك قال : أفلا أكون عبدا شكورا [١٦]

أخرج الإمام مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال :

" صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة ،فقلت يركع عند المائة ،ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها.

يقرأ مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ، ثم ركع ...." الحديث [١٧]

٨ــ مدارسة جبريل القرآن للرسول ﷺ.

فإن جبريل عليه السلام لم يكتف بتبليغ القرآن للنبي ﷺ ،بل كان يسمعه منه ، ليزداد يقينه بأن ما عند النبي ﷺ موافق لما استقر عليه آخر الأمر ، خاصة إذا علمنا أن بعض الآيات كانت تنسخ تلاوة ، وفقا لحكمة العليم الحكيم ، سبحانه وتعالى .

أخرج البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

" كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ...." الحديث [١٨]

وأخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أنها قالت :إنه كان (أي الرسول ﷺ) حدثني : أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة ، وإنه عارضه به في العام مرتين ،و لا أُراني إلا قد حضر أجلي " [١٩]

---

١٦ ــ أخرجه البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة الفتح .رقم ٤٨٣٦

١٧ ـ صحيح مسلم: كتاب الصلاة ، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل :٥٣٦/١ رقم ٧٧٢

١٨ ـ البخاري : كتاب بدء الوحي ، ٨/١ حديث رقم ٦

١٩ ـ مسلم : كتاب فضائل الصحابة ، باب رقم ٩٨(فضل فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها):١٩٠٤/٤

٩ـ ديمومة رجوعه ﷺ إلى القرآن الكريم في كل أمر من أمور دينه ، خاصة إذا طلب منه بيان حكم مبهم ، أو تفصيل شيء موجز ، أو إزالة لبس وقع لبعضهم .

١٠ـ زهده ﷺ في الحياة .

الزهد هو : أن لا تكون حريصا على امتلاك ما هو زائد عن حاجتك، وإذا ملكت ما هو زائد فلا تكن عبدا له ، بل تنفقه فيما يحب من ملكك إياه ، وهو الله جل في علاه.

والرسول ﷺ لو أراد أن يكون أغنى البشر لكان كذلك ، وقد صح في الحديث أن الله عز وجل عرض عليه أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا فأبى .

قال رسول الله ﷺ :" عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت : لا يا رب ولكن أشبع يوما ، وأجوع يوما ، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك " [٢٠]

بل حرص الرسول ﷺ على أن يكون زاهدا .

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال :

" لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات ، وما أكل خبزا مرققا حتى مات " [٢١]

كما أخرج البخاري أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت :

" لقد توفي النبي ﷺ وما في رفِّي من شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر شعير ، في رفٍّ لي ، فأكلت منه ، حتى طال عليَّ " [٢٢]

والزهد في الحياة ومتاعها يجعل الإنسان راضيا بأقل رزق موجود ، غير باك على ما لم يصل أو على أي مفقود ، مما يكون له عظيم الأثر على نفس صاحبه ، وصفاء قلبه ، فيؤثر ذلك بدوره على قوة ذاكرته ، وسيلان ذهنه .

فإذا أراد صاحب هذا الحال حِفْظَ شيء تمكن من قلبه أشد ما يكون التمكن ، على حد قول الشاعر: أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا [٢٣]

إلى غير ذلك من عوامل سنذكرها الآن إن شاء الله تعالى في جانب الصحابة ، وهي عوامل مشتركة بين النبي ﷺ وصحابته الكرام ، رضي الله عنهم أجمعين .

---

٢٠ ـ مسند أحمد: ٢٥٤/٥ ، وسنن الترمذي : كتاب الزهد ، باب (٣٥) ، ٥٧٥/٤رقم ٢٣٤٧.

٢١ ـ البخاري : كتاب الرقاق ، باب : فضل الفقر ،٩٦/٨ رقم ٦٤٥٠ والخوان: المائدة ما لم يكن عليها طعام .

٢٢ ـ الموضع السابق ، رقم ٦٤٥١.

٢٣ ـ البيت لديك الجن ، عبدالسلام بن رغبان الحمصي ، انظر :ديوان ديك الجن (١٩٤) تحقيق أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري ، ط دار الثقافة بيروت .

المبحث الثاني: تواتر القرآن الكريم حفظا

عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

وقد تواتر القرآن الكريم عند الصحب الكرام ، حفظا ، لوجود عوامل عدة .

العوامل التي دعت الصحابة لحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب :

وكما أوجد الله لرسوله ﷺ عوامل جعلته يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ،أوجد لصحابته الكرام رضي الله عنهم عوامل عدة ، جعلتهم يحفظونه كذلك .

ويلاحظ على بعض هذه العوامل وجودها في جانب الرسول ﷺ .

ذلك أنهم أمة واحدة ويعيشون على أرض واحدة ، فلا حرج من ذكرها مع الصحب الكرام مرة ثانية .

ومن أهم تلك العوامل ما يأتي :

١ـ أمية الغالبية العظمى من الصحابة رضي الله عنهم ،قَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ الجمعة

ومن شأن الأمة الأمية أن تعتمد على حفظها ، وأن تعول على ذاكرتها .

ولذلك وجدناهم يعولون على ذاكرتهم في تسجيل مفاخرهم ، وأنسابهم ، وأشعارهم وأيامهم .

٢ـ حب الصحابة لله تعالى، حيث لم يشهد الكون نظيرا لهذا الحب .

والمحب إذا أخلص لمن أحب ،حمله حبه هذا على إدمان متابعة كلام محبوبه وآثاره وحفظ أقواله وأخباره ، ولو كان على حساب طعامه وشرابه ، ويقظته ومنامه .

فهل يجد الإنسان حبيبا أحب إليه من الله ، الذي وهب له الحياة ، وهو وليه ومولاه في دنياه وأخراه ، وليس له في أي أمر سواه ؟

٣ـ زهد الصحابة في الحياة ، وقد تحدثنا عن أثر الزهد في الحفظ قريبا، أثناء الحديث عنه في جانب النبي ﷺ .

٤ـ تنجيم القرآن على أكثر من عشرين عاما . وقد تحدثنا أيضا عن أثر هذا التنجيم في الحفظ أثناء الحديث عنه في جانب النبي ﷺ .

٥ـ تعبد الصحابة بالقرآن في الصلاة ، فريضة ونافلة ، قال تعالى :﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾المزمل: ٢٠

٦ـ الترغيب في قراءة القرآن الكريم وحفظه .

ورد ذلك في نصوص القرآن نفسه،وفي أحاديث نبوية كثيرة ، ومن هذه النصوص :

أ -﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾فاطر: ٢٩ - ٣٢

ب -﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾الزمر: ٩

ت ـ قال ﷺ فيما يرويه البخاري:

"خيركم من تعلم القرآن وعلمه " [٢٤]

ث ـ قال ﷺ فيما يرويه الترمذي وقال عنه حسن صحيح: " إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب "[٢٥]

ج ـ قال ﷺ فيما يرويه الإمام مسلم : " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سِلْما " [٢٦] أي إسلاما ، وفي رواية (سِنًّا) مكان (سِلْما) .

---

[٢٤] ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ١٩٢/٦ رقم ٥٠٢٧
[٢٥] ـ الترمذي : كتاب فضائل القرآن ، باب إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب حديث٢٩١٣
[٢٦] ـصحيح مسلم : كتاب المساجد ، باب من أحق بالإمامة : ٤٦٥/١ حديث رقم٦٧٣

ح ـ أخرج البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ، في ثوب واحد ، ثم يقول : " أيهما أكثر أخذا للقرآن ؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد " .(٢٧)

خ ـ قال ﷺ: " الماهر بالقرآن مع السفرة ، الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاق ، له أجران " (٢٨)

د ـ وقال ﷺ " : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجَّة ، ريحها طيب ، وطعمها طيب ،ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، ليس لها ريح ، وطعمها مر " (٢٩).

ذ ـ قال ﷺ : " من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف " (٣٠)

ر ـ وقال أيضا : " يقال لصاحب القرآن اقرأ ، وارتق ورتل ، كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها ." (٣١)

٥ـ ومن عوامل حفظ الصحابة للقرآن أيضا ، الأمر بمعاهدته .

قال رسول الله ﷺ : " تعاهدوا القرآن ، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّيًا من الإبل في عقلها "(٣٢)

٦ـ وجود الرسول ﷺ بينهم .

حيث كان يتلو عليهم القرآن ، في الصلاة ، وخارجها ، وإذا احتاجوا إلى إزالة لبس أو تبيين مجمل ، أو تفصيل موجز ،وجدوه معهم، يستقبلهم بوجه طلق بشوش، وبصدر رحب رحيم ، امتثالا لما ورد في قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤

---

٢٧ ـ البخاري : كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد : ٩١/٢ حديث رقم ١٣٤٣

٢٨ ـ مسلم : كتاب المسافرين ، باب (فضل الماهر بالقرآن): ٥٤٩/١ رقم٧٩٨

٢٩ ـ البخاري : كتاب الأطعمة ، باب ذكر الطعام ، ٧٧/٧ حديث رقم (٥٤٢٧) ، ومسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضيلة حافظ القرآن ٥٤٩/١ حديث رقم (٧٩٧)

٣٠ ـ الترمذي : كتاب الفضائل ، باب : ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ١٧٥/٥ حديث ٢٩١٠

٣١ ـ الترمذي : كتاب الفضائل ، باب إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن١٧٧/٥ رقم ٢٩١٣

٣٢ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب استذكار القرآن ،١٩٣/٦رقم ٥٠٣٣ ومسلم : كتاب المسافرين ، باب فضائل القرآن .رقم ٧٩١

وقوله تعالى﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ النحل

ولا ريب في أن سماع الصحابة من رسول الله ﷺ قرآن الله تعالى وتفسير ما احتاجوا إليه منه ، من أقوى العوامل لحفظ القرآن الكريم .

٧ـ مكانة القرآن الكريم عند المسلمين .

فالقرآن الكريم هو كلام الله رب العالمين ، وهو المصدر الأول في التشريع ، وهو المنهج الذي ينظم للإنسان علاقته بالخالق والمخلوق ،على حد سواء ، بل ينظم له علاقته مع نفسه هو ، وعَرَّف المسلمين كيف يعيشون به دينا ودنيا ، فوضع لهم الأسس التي يبنون عليها أمور الاجتماع ، والاقتصاد ، والسياسة ، والحرب والسلام وكل أمر في حياتهم ، من قبل مولد الإنسان ، إلى بعد مماته .

فقد بين لنا الشرع الحنيف كيف يختار الرجل زوجته ، وكيف تختار الفتاة زوجها وكيف يكون اللقاء ، وشرع للجنين تشريعات خاصة ، وهو في بطن أمه ،استمر الحمل أم لم يستمر، ثم إذا استقبل الطفل الحياة وجد الشرع قد شرَّع له في كل مراحل حياته ، حتى بعد مماته ، كيف يغسل ، وكيف يصلى عليه ، وكيف توزع تركته لو ترك مالا ،أو كيف يُقْضَى دينُه لو كان مدينا .

لقد شرع القرآن للناس كل ما يحقق لهم السعادة الكاملة في الدنيا ، لو عملوا بما أمروا به ، وانتهوا عما نهوا عنه ، كما ضمن الله لهم لو عملوا بهذا القرآن النجاة والفلاح والفوز في الآخرة ، بجنة عرضها السموات والأرض ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

أكثير على قرآن هذا شأنه ، وتلك مكانته ، أن يحفظه المسلمون في كل العصور عن ظهر قلب ، فضلاعن خير القرون الذين قال فيهم النبي ﷺ " خير الناس قرني "[٣٣]؟

٨ـ سهولة حفظ القرآن الكريم .فقد كان من نعمة الله تعالى على خلقه أن يسر لهم حفظ القرآن الكريم، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠،وإذا كان حفظ القرآن ميسرا هكذا لكل إنسان ، فما بالنا بأهل أشرف زمان وأقدس مكان !!!!

[٣٣] ـ البخاري : كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل أصحاب النبي ﷺ : ٣/٥ رقم (٣٦٥١) ومسلم : باب فضل الصحابة : ١٩٦٣/٤ رقم (٢٥٣٣) .

تأثير تلك العوامل في نفوس الصحابة الكرام

لا شك أن توافر تلك العوامل السابقة في أي شعب من الشعوب ، يجعل منهم حفاظا متقنين لألفاظه ، عالمين بمعانيه وأحكامه ، بل إن بعض هذه العوامل كفيل بذلك فكيف بتوافرها كلها مجتمعة ، في خير قرن من قرون الزمان على الإطلاق ، حيث ضم هذا القرن أتقى الناس أفئدة ، وأسلمهم فطرة ، وأحدَّهم أذهانا ، وأقواهم ذاكرة ؟

بلا ريب ستجعل تلك العوامل منهم آذانا صاغية ، لكلام ربهم ، وقلوبا حافظة له وألسنة شغوفة بترداده، وستجعل من نهارهم حركة سعي لتحصيله ما استطاعوا ،ومن ليلهم فرصة للاختلاء به مع أنفسهم ، وبارئهم ، ما أطاقوا .

ولذلك لم يكن غريبا عليهم أن فرَّغوا الأوقات لتحصيله .

أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

" والله الذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله ، إلا أنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت "[٣٤] .

كما أخرج البخاري عنه أيضا أنه قال : " والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة "[٣٥]

فإذا عجز أحدهم عن تفريغ وقت لتحصيله مباشرة من فم الرسول ﷺ الشريف أناب عنه من يحصله له .

أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :

" كنت أنا وجار لي من الأنصار ، في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يوما ، وأنزل يوما فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم ، من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك "[٣٦]

كذلك لم يكن غريبا قيامهم معظم الليل بهذا القرآن ، والناس في نومهم يغطون ، أو في ملذاتهم وشهواتهم يسبحون ، حتى سجل الله لهم ذلك في قرآنه بقوله تعالى:

﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الذاريات: ١٧

بل كان يسمع لليلهم دوي كدوي النحل من كثرة القراء ، ومن طول قراءتهم ، حتى لو كانوا في غزوة من الغزوات ، وحل ما حل بهم من الإرهاق .

---

٣٤ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ . حديث رقم ٥٠٠٢

٣٥ ـ الموضع السابق .حديث رقم ٥٠٠٠

٣٦ ـ البخاري : كتاب العلم ، باب التناوب في العلم ،٢٩/١رقم٨٩

أخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال : " إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم ، حين نزلوا بالنهار "[٣٧]

ولم يك هذا الاهتمام الشديد ؛ وذلك الشغف العظيم بحفظ القرآن خاصا بكبارهم ، بل شمل صغارهم أيضا .

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم " [٣٨]

وكان الكبار يشجعون الصغار على ذلك ، ويقدرونهم أيما تقدير .

أخرج البخاري أيضا عن ابن عباس رضي لله عنهما أنه قال :" كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال : ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ النصر: ١ . ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره ، إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت:لا ، قال: فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : إذا جاء نصر الله والفتح ـ وذلك علامة أجلك ـ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ،فقال عمر:ما أعلم منها إلا ما تقول " [٣٩]

وأخرج البخاري أيضا أن رسول الله ﷺ قال : " لا حسد إلا في اثنتين ، رجل علمه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان ، فعملت مثلما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني أوتيت مثلما أوتي فلان ، فعملت مثلما يعمل " [٤٠]

وكان ﷺ ينمي فيهم تلك الهمة العالية ، وتلك المنافسة السامية ،فكان يحب أن يسمع القرآن منهم ، وإذا استمع إلى أحد منهم أثنى عليه وشجعه .

---

٣٧ ـ البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر١٣٨/٥رقم ٤٢٣٢

٣٨ ـ البخاري كتاب فضائل القرآن ، باب ٢٥ (تعليم الصبيان القرآن) حديث رقم ٥٠٣٥ والمراد بالمحكم هنا كما في رواية أخرى المفصل .

٣٩ ـ البخاري : كتاب التفسير ، سورة النصر . رقم ٤٩٧٠

٤٠ ـ أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب ٢٠ (اغتباط صاحب القرآن) رقم٥٠٢٥.

أخرج البخاري ،ومسلم ـ واللفظ له ـ عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال له : " لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة ! لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود " (٤١)

ويبلغ ذلك التنافس من العظمة أنه كان يُسْمَع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة من كثرة القراءة ، وارتفاع أصواتهم بالقرآن ، فيخرج عليهم النبي ﷺ ، مشجعا وموجها ، قائلا لهم : " لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن " (٤٢)
وكان ذلك التشجيع والاهتمام منه بأصحابه ، بمجرد أن يأتي الرجل مسلما إليه .
عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : " كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا ، يعلمه القرآن ، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن ،حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم ، لئلا يتغالطوا " (٤٣)
ولم يقف هذا الاهتمام بتحفيظ القرآن مقصورا على من يعيشون مع رسول الله ﷺ بل تعدى إلى المناطق النائية عنه ، سواء أكان ذلك قبل الهجرة أم بعدها .
يعلم ذلك من إرساله ﷺ قبل الهجرة مصعب بن عمير إلى المدينة ليقرئ أهلها القرآن ومن إرسال القراء في المدينة إلى القبائل التي كانت تطلب ذلك كما سيأتي ذكره بعد قليل إن شاء الله تعالى .

كثرة الحفاظ من الصحابة رضي الله عنهم

وقد ترتب على كل ما سبق من أسباب متعددة ، ومن تشجيع عظيم ، ومن ظروف مواتية أن بلغ عدد القراء من أصحاب رسول الله ﷺ من الكثرة ، ما لا يحصى عددا ولا يحاط بهم جمعا ، بحيث توافر للقرآن تواتره بهم ، تواترا أجمع عليه المسلمون وشهد له غيرهم من المنصفين .
ولقد اشتهر من هؤلاء الصحابة جماعة ، فاضت الروايات بذكر أسمائهم ، والتحدث عن مناقبهم ، وإذا كانت تلك الروايات نصت على جماعة بأعيانهم ، فليس معنى ذلك حصر عدد الحفاظ فيهم ، فإن حصر ذلك يفوق القدرة ، خاصة بعد افتتاح البلدان واستبحار العمران .
ومن بين الذين نصت الروايات على أسمائهم ـ كما ذكر أبو عبيد بن القاسم بن سلام والزركشي وابن حجر والسيوطي وغيرهم ـ كثير من المهاجرين ، وكثير من الأنصار ، وبعض أزواج النبي ﷺ.
فمن المهاجرين : الخلفاء الأربعة ، وطلحة ، وسعد، وابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة بن اليمان ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمرو ، وعمرو بن العاص وأبو هريرة ،ومعاوية ، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن السائب .
ومن الأنصار أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وزيد بن ثابت ، ومجمع ابن جارية ، وأنس بن مالك .

---

[٤١] ـ البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب ٣١ (حسن الصوت) رقم ٥٠٤٨، ومسلم : كتاب المسافرين ، باب ٢٣٦ (استحباب تحسين الصوت) ٥٤٦/١ رقم ٧٩٣.
[٤٢] ـ مالك في الموطأ : كتاب النداء ، باب ٢٩ ،١٠٩/٢ رقم٢٦٤ وأحمد في مسنده ٢٥١/٩ط الرسالة رقم ٥٣٤٩ .
[٤٣] ـ أحمد في مسنده ٣٢٤/٥ .

ومن أزواج النبي ﷺ : عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة .
وقد نص على هؤلاء أبو عبيد ، في أول كتابه (القراءات) ثم قال :
" وبعض ما ذكرنا أكثر في القراءة ، وأعلى من بعض ، وإنما خصصنا بالتسمية كل من وصف بالقراءة ، وحكي عنه منها شيء " (٤٤)

بعض الروايات في أسماء بعض القراء من الصحابة الكرام

وهذه بعض الروايات تذكر بعض أسماء القراء من الصحابة رضي الله عنهم :
١ـ ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما مَرِضَ مَرَضَ الموت قال : " مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس "(٤٥).
ولا يعقل أن يكون أبوبكر غير جامع للقرآن ، ويؤم من هم أقرأ منه ، خاصة أن الذي قدمه للإمامة هو من قال : "يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله " (٤٦)
يقول أبوالحسن علي بن إسماعيل الأشعري : " فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدمه عليهم " (٤٧)
ويعلق ابن كثير على كلام الأشعري هذا بقوله : " وهذا التقرير لا يُدْفع ، ولا يشك فيه " (٤٨)
٢ـ أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال لعبدالله بن عمرو بن العاص :
كيف تصوم ؟ قلت : أصوم كل يوم ، قال : وكيف تختم ؟ [أي القرآن] قلت : كل ليلة قال : صم في كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر... " الحديث(٤٩)
٣ـ أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :
" والله الذي لا إله غيره ، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه " (٥٠)
بل إن ابن مسعود رضي الله عنه يصرح بأنه كان حريصا على تلقي القرآن شفهيا من فم الرسول ﷺ مباشرة ما استطاع إلى ذلك سبيلا .
حيث يروي لنا البخاري عنه أنه قال : " والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة " (٥١)
٤ـ أخرج البخاري أن النبي ﷺ قال : خذوا القرآن من أربعة ، من عبدالله بن مسعود وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب "(٥٢)
٥ـ وقال ابن الطيب فيما ينقله عنه القرطبي في مقدمة تفسيره :

---

[٤٤] ـ نقلا عن المرشد الوجيز لأبي شامة : ٤٠ ، ٤١
[٤٥] ـ البخاري : باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة : ١٣٦/١ رقم (٦٧٩)
[٤٦] ـ مسلم : كتاب المساجد ، باب (من أحق بالإمامة) حديث ٦٧٣
[٤٧] ـ فضائل القرآن لابن كثير : ٢٨
[٤٨] ـ الموضع السابق .
[٤٩] ـ البخاري : فضائل القرآن ، باب :في كم يقرأ القرآن .،حديث رقم ٥٠٥٢ ومسلم : كتاب الصيام ، باب ١٨٢:
[٥٠] ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب النبي ﷺ برقم ٥٠٠٢
[٥١] ـ الموضع السابق .برقم٤٩٩٩
[٥٢] ـ الموضع السابق .بالرقم ذاته ٤٩٩٩

" ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآنَ عثمانُ وعليٌّ وتميمٌ الداريُّ ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص " .
إلى أن يقول : " وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة قد جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ ، لأجل سبقهم إلى الإسلام ، وإعظام الرسول ﷺ لهم " . (٥٣)
٦- أخرج البخاري وغيره ، أن وفدا من قبائل عضل والقارة قدم على رسول الله ﷺ ، وقالوا له :إن أخبار الإسلام قد وصلتهم ، وأنهم في احتياج إلى من يفقههم أمر هذا الدين الجديد ، فأرسل معهم النبي ﷺ عشرة من خير الفقهاء وأمر عليهم عاصم بن ثابت ، فلما انطلقوا معهم غدروا بهم وقتلوهم أجمعين " . (٥٤)
٧- أخرج البخاري وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه : " أن رعلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو ، فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ، ويصلون بالليل ، حتى كانوا ببئر معونة ، قتلوهم وغدروا بهم " .(٥٥)
٨- معلوم ــ كما سيأتي قريبا إن شاء الله ــ أن سبب جمع أبي بكر للقرآن كتابة في عهده هو الخوف من ذهاب القراء في المعارك ، بعد واقعة اليمامة مع مسيلمة الكذاب حيث علل عمر ذلك بقوله : " إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن " . (٥٦)
فعمر نفسه يعترف بكثرة القتلى من القراء في معركة واحدة ، حيث بلغ عددهم إلى سبعين قارئا ، بل نص بعضهم على أنهم كانوا خمسمائة (٥٧).
<u>قال ابن حجر تعقيبا على قول عمر</u> : " فيذهب كثير من القرآن : وهذا يدل على أن كثيرا ممن قتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن " .(٥٨)
٩- روى ابن أبي داود في مقدمة كتابه(المصاحف)من طريق محمد بن كعب القرظي قال : " جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو أيوب الأنصاري "
قال عنه ابن حجر:" وإسناده حسن مع إرساله ،وهو شاهد جيد لحديث عبد الله بن المثنى " .(٥٩)
ومعلوم أن عبارة (جمع القرآن خمسة من الأنصار) لا تفيد الحصر فيهم ، فلا تنافي أن يكون غيرهم من الأنصار قد جمعوه ، كما لا تنافي من باب أولى أن يكون كثير من المهاجرين، وكثير من غير المهاجرين والأنصار ،من القبائل الأخرى قد جمعوه أيضا
١٠- قال ابن حجر: "وأخرج ابن أبي داود أيضا من طريق الشعبي ، قال :

٥٣ - مقدمة تفسير القرطبي ٥٧/١ .
٥٤ - البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الرجيع .حديث رقم ٤٠٨٦
٥٥ - البخاري : في نفس الموضع السابق .حديث رقم ٤٠٨٨
٥٦ - البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن .حديث رقم ٤٩٨٦
٥٧ - انظر : مناهل العرفان ٢٠٥/١
٥٨ - فتح الباري : ٦٩/٨ .
٥٩ - المصدر السابق ٦٧٠/٨ .

" جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ ستة: منهم أبو الدرداء ومعاذ وأبو زيد وزيد بن ثابت "

ثم قال عنه ابن حجر : " وإسناده صحيح مع إرساله " . [٦٠]

فهذه الأحاديث والآثار وغيرها تدل بكل وضوح ، وبما لا يدع مجالا للشك ، على كثرة قراء القرآن ، كثرة تحقق له تواتره من أقرب طريق ،بل إننا لنجزم بكل يقين بأن تلك الأحاديث التي تدل على كثرة القراء من الصحابة لا تمثل في الواقع إلا قليلا من كثير ، لعدم الاعتناء بإحصائية للحفاظ لاستغنائهم عنها حيث بلغت كثرتهم مبلغا اشتهر في الآفاق ، وطار في القرى والأمصار .

قال القاضي أبو بكر في كتابه (الانتصار للقرآن) ، ـ كما ينقل عنه أبو شامة في المرشد الوجيز ـ بعد أن أورد عدة روايات تفيد كثرة الحفاظ من الصحابة ، والذين قتلوا في حرب اليمامة : " ومن تأمل مجيء هذه الأخبار وألفاظها ، علم وتيقن أن أمر القرآن كان بينهم ظاهرا منتشرا ، وأن حفاظه آنذاك كانوا في الأمة عددا عظيما وخلقا كثيرا " [٦١]

تواتر القرآن الكريم بعد عصر الصحابة إلى الآن

هذا عن عصر الصحابة الذين عاصروا رسول الله ﷺ .

ولم يقف هذا الاهتمام بحفظ وتحفيظ القرآن مقصورا على من يعيشون مع رسول الله ﷺ ، فلما جاء عصر التابعين وفتح الله على أيدي الصحابة والتابعين بلادا كثيرة ودخلت في الإسلام أمم غزيرة ، تحت راية القرآن الكريم ، كثر حفاظه كثرة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

وظلت الأعداد تتزايد بصورة خيالية ،عصرا بعد عصر، إلى يومنا هذا ، حتى إنه ليمكننا القول بدون مبالغة ، إنه يمكن حصول تواتر القرآن الكريم الآن ، من خلال سكان أربع عمارات ، أو خمس ، من بعض عمارات حي شبرا بالقاهرة ،أو مثيلاتها من بعض عمارات حي العزيزية بمكة المكرمة ، حيث يجتمع في تلك العمارات العدد الذي رجحه كثير من العلماء ، لحصول التواتر به .

وشهد شاهد من أهلها

تقول المستشرقة الإيطالية " لورا فاغليري " [٦٢] عن القرآن الكريم :

" إن في إمكان المرء أن يستظهره في غير عسر ، حتى إننا لنجد اليوم ـ على الرغم من انحسار موجة الإيمان [كان هذا في عصرها وفي بيئتها] آلافا من الناس القادرين على ترديده عن ظهر قلب ، وفي مصر وحدها عدد من الحفاظ أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيل عن ظهر قلب في أوروبا كلها" [٦٣]

---

[٦٠] ـ فتح الباري : ٦٧٠/٨ .

[٦١] ـ المرشد الوجيز لأبي شامة : ٦٣ .

[٦٢] ـ لورا فاغليري مستشرقة إيطالية ، انصرفت إلى التاريخ الإسلامي القديم والحديث ، وإلى فقه اللغة العربية وآدابها ، لها مصنفات كثيرة منها: قواعد العربية ، ونبذة عن أدباء العرب المعاصرين ، والدفاع عن الإسلام(١٩٥٢) و الخلاف بين علي ومعاوية (المستشرقون لنجيب العقيقي :٤٠٤)ط دار المعارف بمصر ط٣ سنة١٩٦٤م .

[٦٣] ـ قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل :٧٦

الفصل الثاني
تواتر القرآن الكريم كتابة

تمهيد :

القرآن مكتوب في السماء قبل أن ينزل إلى الأرض:

كتابة القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ ، لم تبدأ ببداية نبوته ، وإنما هي قديمة قدم اللوح المحفوظ ،الذي كتب فيه كل ما يتعلق بالدنيا قبل خلقها إلى أن تقوم الساعة ، وما سيحدث بعدها .

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج

أهم الكتابات المتواترة للقرآن الكريم

القرآن الكريم كتب متواترا في كل عصر ،منذ نزوله على النبي ﷺ إلى عصرنا هذا وسيكتب بإذن الله تعالى متواترا إلى يوم الدين .

ولكن بالنظر إلى أهمية كل كتابة له ، نرى أن أهم الكتابات المتواترة ، كتابات ثلاث كان لها أبلغ الأثر في حفظه ، دون تغيير، بأي صورة من الصور .

هذه الكتابات هي :

١ـ كتابته بين يدي النبي ﷺ .

٢ـ كتابته في العهد البكري .

٢ـ كتابته في العهد العثماني .

ولنتحدث عن كل كتابة من هذه الكتابات الثلاث بشيء من التفصيل .

المبحث الأول :كتابة القرآن الكريم في العهد النبوي

من المتواتر عن الرسول ﷺ وعن القرآن الكريم أن الرسول ﷺ كان له كتاب للوحي يكتبونه بمجرد نزوله ، ثبت هذا بأدلة كثيرة أقتصر منها على ما يلي :

١ـ إطلاق لفظ الكتاب على القرآن الكريم ، في مواضع كثيرة منه ، منها ما هو مكي ومنها ما هو مدني .

كقوله تعالى في السور المكية الآتية ﴿ الٓمٓصٓ ① كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأعراف: ١ ـ ٢ ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ يونس: ١ ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ① ﴾ هود: ١

وكقوله تعالى في السور المدنية الآتية:

﴿ الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ② ﴾ البقرة: ١ - ٢ ﴿ الٓمٓ ① ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ② ﴾ آل عمران: ١ - ٢ ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ①⓪⑤ ﴾ النساء: ١٠٥

قال ابن منظور نقلا عن الأزهري:" الكتاب: اسم لما كتب مجموعا "[٦٤]

فهذا اللفظ ـ أعني الكتاب ـ يدل على أن القرآن مكتوب .

٢ـ ومن الآيات الدالة على أن القرآن كان يكتب أيضا قوله تعالى في سورة البينة

﴿ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ② فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ③ ﴾

جاء في تفسير الفخر الرازي في تفسير هاتين الآيتين : " اعلم أن الصحف جمع صحيفة ، وهي ظرف للمكتوب " [٦٥]

٣ـ أخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: : لما نزلت ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ النساء: ٩٥ دعا رسول الله ﷺ زيدا فكتبها ، فشكا ابن أم مكتوم ضرارته فأنزل الله ﴿ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ النساء:٩٥ [٦٦]

٤ـ أخرج البخاري وغيره أن أبابكر قال لزيد بن ثابت رضي الله عنهما " كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ " [٦٧]

٥ـ أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " لا تكتبوا عني ، ومن كتم عني غير القرآن فليمحه "[٦٨]

---

٦٤ ـ لسان العرب (كتب)
٦٥ ـ مفاتيح الغيب : ٤٢/٣٢
٦٦ ـ البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء.حديث رقم ٤٥٩٢
٦٧ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن .حديث رقم٤٩٨٦
٦٨ ـ مسلم : كتاب الزهد ، باب (التثبت في الحديث) برقم ٣٠٠٤

٦- روى البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافَرَ بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو [٦٩]
فهذه نصوص قاطعة بأن رسول الله ﷺ قد كتب القرآن من خلال إملائه إياه على بعض من صحابته الكرام الذين يجيدون الكتابة .
وقد كان هؤلاء الكتاب من خيرة أصحابه ، رضي الله عنهم .
يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في كتابه فتح الباري ، وهو يتحدث عن كتاب الوحي : « وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد ، ولكثرة تعاطيه ذلك أطلق عليه (الكاتب) بلام العهد ، كما في حديث البراء بن عازب ، ثاني حديثي الباب ، ولهذا قال له أبو بكر : إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ .

وكان زيد بن ثابت ربما غاب ، فكتب الوحي غيره ، وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبيٌّ بنُ كعب ، وهو أول من كتب له بالمدينة ، وأول من كتب له بمكة من قريش عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح ، ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح ، وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية ، وحنظلة بن الربيع الأسدي، ومعيقيب بن أبي فاطمة ، وعبدالله بن الأرقم الزهري ، وشرحبيل بن حسنة ، وعبد الله بن رواحة في آخرين » [٧٠].

فيم كان يكتب القرآن في العهد النبوي؟

باستقراء الأحاديث والآثار الخاصة بذلك ، نستطيع أن نقول : إن القرآن كان يكتب فيما كان شائعا الكتابة عليه في هذا الزمان ، وهي :

١- الألواح ، واللوح : صحيفة عريضة من خشب ، أو عظم ، ونحو ذلك .

٢- الرقاع ، جمع رقعة ، من جلد ، أو غيره .

٣- العُسُب ، جمع عَسِيب ، قطعة من جريدة النخل ، لم ينبت عليها الخوص، وما نبت عليه الخوص فهو السعف .

٤- الأكتاف ، جمع كتف ، وهو العظم المعروف للحيوان ، إذا يبس كتبوا عليه .

٥- الأضلاع ، جمع ضلع ، وهو الذي يكون للحيوان أيضا.

٦- الأقتاب ، جمع قَتَب ، وهو قطع الخشب التي فوق ظهر الإبل ، يُرْكَب عليه.

٧- الأديم، وهو الجلد . ٨- اللخاف ، جمع لَخْفَة، حجارة بيضاء ، رقيقة.[٧١]

---

[٦٩] - البخاري : كتاب الجهاد ، باب (كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو)رقم ٢٩٩٠ ، ومسلم : كتاب الإمارة ، باب (النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار) حديث رقم ١٨٦٩
٦٨- فتح الباري:٢٢/٩ ط : دار المعرفة ببيروت
[٧١] - انظر لسان العرب (لوح، رقع ،عسب ،كتف، ضلع ،قتب، أدم ، لخف)

كيف كتب القرآن في العهد النبوي ؟

كان القرآن ينزل على الرسول ﷺ ويأمر كتبة الوحي بتدوينه ، وقد ذكرنا قريبا بعض الأحاديث الدالة على ذلك ، ولم يكن لرسول الله ﷺ أدنى اختيار في وضع النص القرآني ، في موضعه من القرآن ، بل كان جبريل عليه السلام هو الذي يدله على موضعه، ليتطابق مع موضعه في اللوح المحفوظ .

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عثمان بن أبي العاص قال :

" كنت جالسا عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره [فتح عينيه ولم يطرف ، متأملا أو منزعجا] ثم قال " أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل: ٩٠ [٧٢]

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن الزبير أنه قال :

" قلت لعثمان بن عفان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ ﴾ البقرة: ٢٤٠ قال : قد نسختها الآية الأخرى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴾ البقرة: ٢٣٤ قلت : فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخي ، لا أغير شيئا من مكانه " [٧٣]

ومعلوم أن ترتيب النزول غير ترتيب التلاوة ، فترتيب النزول حسب الوقائع والأسئلة ونحو ذلك ، أما ترتيب الكتابة والتلاوة فحسب ترتيب القرآن في اللوح المحفوظ .

وكان الصحابة يعلمون ترتيب التلاوة أثناء الكتابة ، كما في الحديثين السابقين ، ومن خلال قراءة الرسول ﷺ القرآن في الصلاة وخارجها .

قال البغوي في شرح السنة :" كان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا ، بتوقيف جبريل إياه على ذلك ،وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد ، لا في ترتيبه ، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا ، ثم كان ينزله مفرقا ، عند الحاجة وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة " [٧٤]

---

[٧٢] ـ مسند أحمد : ٢١٨/٤

[٧٣] ـ البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة .حديث ٤٥٣٠

[٧٤] ـ نقلا عن الإتقان : ٦١/١ ، ٦٢

ما الدافع لكتابة القرآن في العهد النبوي ؟

قد يسأل سائل فيقول : إذا كان الرسول ﷺ موجودا بذاته بين المسلمين ومعه من صحابته الحفاظ ما لا يحصون عددا ، وإذا كان المُعَوَّل عليه في المقام الأول هو المحفوظ ، وليس المكتوب ، وإذا كان الله ضمن لنبيه ﷺ حفظه في صدره ، وتكفل بحفظه إلى يوم الدين ، فما الداعي لأن يأمر النبيُّ ﷺ كتابَ الوحي بكتابته ؟

أقول : كانت كتابة القرآن الكريم في العهد النبوي ، للمبالغة في اتخاذ كافة الاحتياطات لضمان سلامة النص القرآني .

فالقرآن ليس مقصورا على جيل العهد النبوي ، بل هو لكل الأجيال إلى يوم الدين فقد تحدث مستجدات تستدعي المبالغة في التأكد من سلامة النص القرآني .

وهذا ما حدث بالفعل ، فقد حدثت أحداث بعد موت النبي ﷺ جعلت الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى عين المكتوب بين يديه ﷺ .

وسيأتي الحديث عن تلك الأحداث قريبا إن شاء الله تعالى .

وبالتالي فإن كتابة الرسول ﷺ القرآن الكريم ، كان المراد منها زيادة مصدر آخر لتوثيق القرآن الكريم ، فلا شك أن الشيء إذا كان له أكثر من جهة توثق صحته وتشهد بسلامته ، كان ذلك أدعى للقبول ، وأحرى بنفي أية شائبة تحدث من شاك أو مشكك .

يقول الدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه (النبأ العظيم) :

« روعي في تسميته(قرآنا)كونه متلوا بالألسن ،كما روعي في تسميته(كتابا) كونه مدونا بالأقلام ، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين ، لا في موضع واحد ،أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا،أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسمَ المجمعَ عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلا بعد جيل، على هيئته التي وضع عليها أول مرة.

ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ماهوعند الحفاظ ، بالإسناد الصحيح المتواتر"[٧٥]

وهكذا لم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، إلا وقد بلَّغ القرآن الكريم للأمة كلها سماعا ، وكتابة ، فتحقق التواتر لهذا القرآن الكريم ، حفظا في الصدور ، وكتابة في السطور .

---

[٧٥] ـ النبأ العظيم : ٩ ط السعادة ١٩٦٩م

المبحث الثاني : تواتر القرآن الكريم كتابة في العهد البكري

وبعد وفاة النبي ﷺ انتقلت قيادة الأمة إلي أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه فإذا به يفاجأ بفتنة داخلية لم تخطر له على بال، حيث ارتد عن الإسلام أناس كثيرون تجمعوا تحت قيادة كذاب أشر ، ادعى النبوة في حياة النبي ﷺ ، وهو مسيلمة الكذاب من بني حنيفة ، وهم يعلمون كذبه ، ولكنها حمية الجاهلية ، وقد حدث لمسيلمة هذا لقاءٌ بينه وبين رسول الله ﷺ يروي لنا الإمامان البخاري ومسلم رحمها الله ما جرى في هذا اللقاء :

" عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم مسيلمة الكذاب على رسول الله ﷺ فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه ، فقال : لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك. ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أُريتُ فيه ما رأيتُ ، وهذا ثابت يجيبك عني ، ثم انصرف عنه " [٧٦]

وبعد هذا الحديث مباشرة يروي لنا البخاري أن رسول الله ﷺ قال : " بينما أنا نائم رأيت في يدي سِوارين من ذهب ،فأهمني شأنهما، فأوحي إليَّ في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا، فأوَّلْتُهما كذابين يخرجان بعدي ، أحدهما العَنْسِي صاحب صنعاء والآخر مسيلمة ، صاحب اليمامة " [٧٧]

فلما تولى أبو بكر القيادة بعد النبي ﷺ تمرد عليه مسيلمة وأتباعه فقامت معركة عنيفة بين المسلمين ، بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه ، والمرتدين وقاتلت بنو حنيفة قتالا لم يعهد مثله .

ورغم أن النصر في النهاية كان حليف المسلمين ، إلا أنهم فقدوا في هذه المعركة عددا كبيرا من حفاظ القرآن الكريم ، لَفَتَ أنظارَ المسلمين كافة ، خاصة عمر بن الخطاب ، الذي فزع إلى أبي بكر رضي الله عنهما ، يطلب منه ضرورة كتابة القرآن بين دفتين ، يربطهما رابط ، يرجع المسلمون إليه حينما يستدعي الأمر .

أخرج البخاري وغيره " أن زيد بن ثابت قال : أرسل إليَّ أبوبكر الصديق مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن ،فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر :هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت الذي رأى عمر قال زيد : قال أبوبكر : إنك رجل شاب عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ،

---

[٧٦] ـ البخاري : كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة .حديث رقم٤٣٧٣

[٧٧] ـ البخاري : كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة .حديث رقم٤٣٧٩

فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن .
قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري ، للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .
فتتبعت القرآن أجمعه ، من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ التوبة: ١٢٨ حتى خاتمة براءة ، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ،ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما .[٧٨]
كما أخرج البخاري أيضا في الموضع ذاته أن زيد بن ثابت قال :
" فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الأحزاب: ٢٣ فألحقناها في سورتها في المصحف ."
ونستطيع أن نستنبط من قصة معركة اليمامة ، ومن أحاديث جمع القرآن كتابة في العهد البكري ، عدة أمور ، منها ما يلي :
أولا : كثرة حفاظ القرآن الكريم ، كثرة جعلت القرآن شعارهم في هذه المعركة، فكان نداؤهم يشجعون أنفسهم :(يا أصحاب سورة البقرة) (يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال)[٧٩] .
ويدل على تلك الكثرة ، قول عمر : " إن القتل قد استحر بالقراء يوم اليمامة " .
ثانيا : الباعث على جمع القرآن في مصحف واحد هنا : هو تخوف المسلمين من ضياع شيء من القرآن مستقبلا ، باستشهاد حفاظه ، أو موتهم .
ولذلك عُدَّ هذا الجمع من أجل الأعمال التي نفذها الخليفة أبو بكر رضي الله عنه .
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع القرآن بين اللوحين "[٨٠]
ثالثا : عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من ألهمه الله فكرة جمع القرآن مكتوبا بين دفتين ، ليكون مرجعا لكل الأمة .
ولا غرابة في هذا عن عمر ، فهو الذي قال عنه الرسول ﷺ فيما يرويه الإمام البخاري رحمه الله : " لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يُكَلَّمُون [أي تكلمهم الملائكة] من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر" [٨١]

---

٧٨ ـ البخاري: كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، حديث رقم :٤٩٨٦
٧٩ ـ البداية والنهاية لابن كثير:٣٥٧/٦ ط دار إحياء التراث العربي ١٩٨٨م .
٨٠ ـ المصاحف لابن أبي داود : ٥
٨١ ـ البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عمر .حديث رقم٣٦٨٩

رابعا: يعطينا هذا الحوار الذي دار بين أبي بكر وعمر أولا ، ثم بين أبي بكر وزيد ثانيا ، صورة واضحة لضرورة إشراك ولي الأمر ،أهل الفكر والرأي والخبرة معه فيما يهم أمر الأمة ، بل والنزول على رأي أحدهم ، وتقديمه على رأيه هو ، مادام صلاح الحال يقتضي ذلك .

خامسا : ضرورة اختيار الأكفأ لكل عمل .

فأبو بكر رضي الله عنه لم يختر أي شخص ، وإنما اختار رجلا تؤهله صفاته أن يكون جديرا بما كلف به ، وذكر له أربع صفات ، رجحت كفته ، حيث وجدت فيه تلك الصفات بدرجة أعلى وأقوى من وجودها في غيره ،اختصرها أبوبكر في قوله : " إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ "

١ـ الشباب والقوة .(شابٌّ)　　　　٢ـ الذكاء .(عاقل)

٣ـ الأمانة . (لا نتهمك)، والتي عبر زيد عنها بقوله : " فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن "

٤ ـ الخبرة الميدانية لدى أعظم رسول أرسل للبشرية .(كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ).

سادسا : اشتراك الأمة كلها في هذا العمل العظيم ، وهو كتابة القرآن الكريم مجموعا بين دفتين .

فزيد بن ثابت ، وإن كان قد كلف بالعبء الأكبر من هذا العمل ، إلا أن الأمة كلها كشفت عن ساقيها ، وشمرت عن ساعديها ، ولم يقر لها قرار حتى انتهت من كتابة قرآن العزيز الغفار .

قال ابن حجر : " ووقع في رواية سفيان بن عيينة : " فقال أبو بكر : أما إذا عزمت على هذا فأرسل إلى زيد بن ثابت ، فإنه كان شابا حدثا تقيا ، يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فأرسل إليه ، فادعه ، حتى يجمعه معنا " [٨٢]

فقول أبي بكر " حتى يجمعه معنا " دليل على عدم انفراده بالكتابة .

كما أخرج ابن أبي داود في كتابه (المصاحف) بإسناده عن أبي العالية أنه قال : " إنهم جمعوا القرآن في مصحف ، في خلافة أبي بكر، فكان رجال يكتبون ، ويملي عليهم أبي بن كعب "[٨٣]

المبالغة في الاحتياط لسلامة القرآن الكريم

مع أن كلا من عمر صاحب الاقتراح ،وأبي بكر الآمر بكتابته ،وزيد الكاتب ، وهذا كان لقبه ، لأنه كان أكثر الصحابة كتابة للوحي ، حين نزوله ،مع أن كلا منهم كان يحفظ القرآن الكريم كله كاملا ، ومع أنهم الثلاثة كانوا يكتبون الوحي لرسول الله ﷺ إلا أنهم أرادوا أن يشركوا الأمة كلها معهم في هذا الأمر الجليل والخطير .

فلم يكتفوا بما حفظوه في صدورهم ، ولم يكتفوا بما هو مدون فقط ، حتى لو كانوا هم الذين دونوه بأيديهم أمام النبي ﷺ .بل رأوا أن يتبعوا أفضل وأعلى طرق التثبت والاحتياط ،وذلك بالجمع بين المكتوب والمحفوظ .

---

٨٢ ـ فتح الباري : ٦٣٠/٨

٨٣ ـ المصاحف :٥٦ ط الفاروق بمصر ٢٠٠٢م

والدليل على ذلك :
١ـ ما صرح به زيد نفسه ، حينما قال: " فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال"
فقوله (من العسب واللخاف)دليل على المكتوب ، وقوله (وصدور الرجال) دليل على المحفوظ .
٢ـ قال السيوطي ـ وهو يتحدث عن جمع أبي بكر ـ :
" وفي مغازي موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبوبكر ، وخاف أن يذهب من القرآن طائفة ، فأقبل الناس بما كان معهم ، وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق[أي في الجلود الرقاق] ، فكان أبوبكر أول من جمع القرآن في المصحف " [٨٤]
فقوله (فأقبل الناس بما معهم وعندهم) يفيد اشتراك الأمة جميعها ، في هذا العمل بالمحفوظ والمكتوب ، لأهميته وخطورته .
وبهذا يتبين أن الأمة كلها قائدها وعلماءها ، وقراءها، وكُتَّابها ما قر لهم قرار ولا هدأ لهم بال ، إلا بعد ما رأوا قرآن ربهم ، مكتوبا بين دفتين ، على أعلى درجات التثبت واليقين ، ليكون مرجعا مكتوبا للعالمين ، إضافة لما في صدور الحفاظ من أمة سيد المرسلين ﷺ .
يقول الزرقاني رحمه الله : " وسيظل هذا العمل منقبة خالدة ، لا يزال التاريخ يذكرها بالجميل ، لأبي بكر في الإشراف ، ولعمر في الاقتراح ، ولزيد في التنفيذ ، وللصحابة في المعاونة والإقرار " [٨٥] .

---

[٨٤] ـ الإتقان : ٥٩/١
[٨٥] ـ مناهل العرفان : ٢٥٣/١

المبحث الثالث : تواتر القرآن الكريم كتابة في العهد العثماني

وهذا طور آخر من أطوار كتابة القرآن الكريم ، في مرحلة من أخطر المراحل التي مرت على الأمة ، تجاه كتاب ربها ، سبحانه وتعالى .

سبب الكتابة في العهد العثماني :

هو تنازع المسلمين في قراءة القرآن الكريم ، حتى كفر بعضهم بعضا ، فأراد عثمان رضي الله عنه توحيد المسلمين في كل قطر ، بكتابة مصحف إمام لهم ، منه ينسخون ومنه يحفظون ، وإليه يرجعون ، ولا يتنازعون .

وتفصيل ذلك كالآتي :ما أن مضت سنوات قليلة هي مدة خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، إلا وانساح الإسلام شرقا وغربا ، بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية ، واستبحر عمران المسلمين ، واختلط العرب بالعجم .

وكان من تقدير الله عز وجل لضمان انتشار دينه ، وحفظ كتابه ، أن تفرق الحفاظ من الصحابة في جميع القرى والأمصار .

واستجابة لأمر رسول الله ﷺ : "بلغوا عني ولو آية " [٨٦] وطمعا في الوصول لمرتبة الخيرية ، التي سمعوا عنها من الرسول ﷺ حينما قال: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه "[٨٧] تنافس الصحب الكرام في تبليغ قرآن ربهم إلى كل من استطاعوا ، ممن خالطوهم ، في قراهم وأمصارهم ، فأقرأ كل صحابي من استطاع إقراءه ، بالقراءة التي أخذها عن رسول الله ﷺ ، كلٌ في حدود الأحرف السبعة ، التي أنزل عليها القرآن

فكان عبدالله بن مسعود يقرئ أهل الكوفة ، وأبو موسى الأشعري يقرئ أهل البصرة وأُبيٌّ بن كعب يقرئ أهل الشام ، وهكذا ...... الخ .

ونتج عن هذا اختلاف قراءة بعض الأقطار مع الأقطار الأخرى ، وبدا ذلك واضحا حينما التقى المجاهدون مع بعضهم في المعارك ضد أعدائهم .

قال الحافظ ابن حجر : " جاء في رواية عمارة بن غزية أن حذيفة قدم من غزوة فلم يدخل بيته ، حتى أتى عثمان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أدرك الناس ، قال : وما ذاك ؟ قال : غزوت فرج أرمينية ، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبدالله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام ، فيكفر بعضهم بعضا " [٨٨]

---

٨٦ ـ البخاري : كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ،حديث رقم :٣٤٦١

٨٧ ـ البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، حديث رقم: ٥٠٢٧

٨٨ ـ فتح الباري : ٦٣٤/٨

ويضاف إلى هذا السبب سبب آخر ، وهو أن بعض الآيات نسخت تلاوة من المصحف وجهل هذا النسخ بعضهم ، فقرأ بالمنسوخ أمام من علم نسخها ، فاتَّهم هذا أخاه بالزيادة واتهمه أخوه بالنقص .

أخرج ابن أبي داود في كتابه (المصاحف)من طريق بُكَير بن الأشجع ، أن ناسا كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية ، فإذا قرأها قال : فإني أكفر بهذه الآية ، ففشا ذلك في الناس، واختلفوا في القرآن ، فكُلِّم عثمان بذلك " [٨٩] .

التنازع في القراءة ليس وليد العهد العثماني

ومما تجدر الإشارة إليه أن التنازع في القراءة قد حدث من قبل في العهد النبوي .

فقد أخرج البخاري في صحيحه ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :

" سمعت حكيم بن هشام يقرأ سورة الفرقان ، في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذ هو يقرأ على حروف كثيرة ، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت : كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت .

فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ﷺ : أرسله اقرأ يا هشام ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ، ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه " [٩٠] .

الصحابة يهتمون بالأمر ويقدرون خطورته

حينما وصل الأمر بهذا الاختلاف إلى حد تكفير بعضهم بعضا ، أدركت الأمة وجوب وضع حل لهذه المشكلة ، قبل أن يتسع الخرق على الراقع .

أخرج البخاري في صحيحه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام ، في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى "[٩١]

الخليفة يستشير ، ثم يصدر أمرا

لما وصل الخبر إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، تداول الرأي مع كبار القوم ، وأولي الأحلام والنهى ، فاستقر رأيهم على ضرورة كتابة مصحف إمام لكل قطر من الأقطار .

أخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح أن عثمان رضي الله عنه قال لكبار الأمة حينما قالوا له : فما ترى ؟ قال : أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا : فنعم ما رأيت [٩٢] .

---

٨٩ ـ المصاحف : ٢٣ .
٩٠ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف .حديث رقم ٤٩٩٢
٩١ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن .حديث رقم ٤٩٨٧
٩٢ ـ المصاحف: ٢١.

الخليفة يشرك الأمة كلها في كتابة القرآن

إذا كان الخليفة هو صاحب فكرة كتابة مصحف إمام إلى كل قطر من الأقطار، فإنه قد أشرك الأمة كلها في تنفيذ فكرته .

أخرج ابن أبي داود أن عثمان رضي الله عنه قال :

" اجتمعوا يا أصحاب محمد ، واكتبوا للناس إماما " [٩٣]

كما أخرج أيضا عن سويد بن غفلة الجعفي أنه قال : " والله لا أحدثكم إلا شيئا سمعته من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، سمعته يقول : " يا أيها الناس ، لا تغلوا في عثمان ، ولا تقولوا له إلا خيرا ، في المصاحف ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منا جميعا " [٩٤] .

انتقاء لجنة عظمى لكتابة المصاحف

انتقى عثمان في بداية الأمر أربعة أشخاص ، كما يروي البخاري عن أنس رضي الله عنه ، في حديث جمع القرآن حيث يقول : " فأمر زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام .... الخ .

ثم زيدت اللجنة إلى اثني عشر عضوا .

أخرج ابن أبي داود عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال : " لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف ، جمع له اثني عشر رجلا من قريش والأنصار ، فيهم أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت " [٩٥]

وبالرجوع إلى كتاب المصاحف لابن أبي داود ،نجد فيها خمسة آخرين ، هم:

١- مالك بن أبي عامر ، جد مالك بن أنس. ٢- كثير بن أفلح .

٣- عبد الله بن عباس. ٤- أنس بن مالك . ٥- أبي بن كعب

٦- ويذكر أبو عمرو الداني في كتابه المقنع بعض الأسماء السابقة ، ويزيد عليها الصحابي الجليل ، عبد الله بن عمرو بن العاص .[٩٦]

فهؤلاء عشرة من الاثني عشر رجلا ، أما الرجلان الآخران ، فالظاهر - كما يفهم من كلام ابن حجر في فتح الباري ، ومن كلام السيوطي في الإتقان - أنهما غير معروفين بالاسم .

الخليفة يضع خطة للكتابة

وضع الخليفة عثمان الخطة الآتية :

١- أمر بإحضار الصحف البكرية التي كانت عند أم المؤمنين ، حفصة بنت عمر رضي الله عنها قائلا لها : " أرسلي إلينا بالصحف ، ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك " [٩٧]

٢- حدد للجنة الحرف الذي سيكتبون عليه القرآن ، وهو حرف قريش، حيث قال للقرشيين الثلاثة (وهم : عبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن

---

[٩٣] - المصاحف : ٢١ .

[٩٤] - المصاحف : ٢٢

[٩٥] - المصاحف : ٢٥ .

[٩٦] - المقنع : ١٤

[٩٧] - البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن .حديث رقم ٤٩٨٧

الحارث) : " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم " [٩٨]
٣ـ حدد عثمان رضي الله عنه لكل عضو من أعضاء اللجنة مهمة خاصة ، عرف فيها بالبراعة ، وإن عرف عنه إجادة في أكثر من ناحية استفاد بكل ذلك .
٤ـ جردت اللجنة الألفاظ القرآنية من النقط والشكل ، لتشتمل المصاحف في مجموعها على الأحرف السبعة، وكان منهجهم في ذلك كالآتي :
أ ـ إن كان اللفظ يحتمل أكثر من قراءة متواترة حالةَ خُلُوِّه من النقط والشكل ، كتبوه في جميع المصاحف برسم واحد ، نحو (فتبينوا) و(فتثبتوا) من قوله تعالى :﴿ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الحجرات: ٦ ، ونحو (ننشزها) و(ننشرها) في قوله تعالى

﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ البقرة: ٢٥٩
ب ـ أما إذا كان اللفظ لا يحتمل إلا قراءة واحدة ، رغم خلوه من النقط والشكل ، وله قراءة أخرى أو أكثر متواترة ، فإنهم كانوا يرسمون هذا اللفظ في مصحف برسم يوافق قراءة ، وفي مصحف آخر يوافق القراءة الأخرى ، نحو قراءة (تجري تحتها الأنهار) في قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ التوبة ففي قراءة بدون (مِنْ) وفي قراءة أخرى بإثباتها .
<u>والسبب في ذلك :</u> أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فرأى عثمان أن لا يسقط قراءة متواترة من مجموع المصاحف ما استطاع ، وإلا فما الداعي لتعدد القراءات؟ وما فائدة إنزال القرآن على سبعة أحرف ؟

إشراف عثمان بنفسه على كتابة المصاحف

لم يترك عثمان رضي الله عنه لجنة كتابة المصاحف ، تكتب بمفردها ، ولكنه كان يشرف عليهم ، خاصة أنه كان أحد كتاب الوحي للنبي ﷺ وأحد حفاظ القرآن الكريم، وهو صاحب فكرة نسخ المصاحف المتعددة للأقطار والأمصار.
أخرج ابن أبي داود بإسناده عن كثير بن أفلح أنه قال : "وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخروه ." [٩٩]
وأخرج أبو عمرو الداني بإسناده عن زيد بن ثابت أنه قال :" فجعلنا نختلف في الشيء ثم نجمع أمرنا على رأي واحد ، فاختلفوا في (التابوت) فقال زيد : (التابوه) ، وقال النفر القرشيون (التابوت) ، قال : فأبيت أن أرجع إليهم وأبوا أن يرجعوا

---
٩٨ ـ الموضع السابق .الحديث نفسه.
٩٩ ـ المصاحف : ١٠٤/١ ط الفاروق الحديثة بمصر ٢٠٠٢م .

إليَّ ، حتى رفعنا ذلك إلى عثمان، فقال عثمان: اكتبوه (التابوت) فإنما أنزل القرآن على لسان قريش .[100]

وكانت اللجنة بإشراف عثمان رضي الله عنهم لا تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ في النص القرآني .

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن الزبير أنه قال :

" قلت لعثمان بن عفان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ البقرة: ٢٤٠ قال : قد نسختها الآية الأخرى .

[يقصد﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾البقرة٢٣٤]

قلت : فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا ابن أخي ، لا أغير شيئا من مكانه "[101]

فقول ابن الزبير : " فلم تكتبها أو تدعها " ؟ فيه دلالة على أنهم كانوا يستوثقون لما يكتبون ، ويرجعون إلى الخليفة فيما إليه يحتاجون ، وإجابة عثمان لابن الزبير بقوله : " لا أغير شيئا من مكانه " فيها دلالة كذلك على أنه كان يرشدهم إلى ما يشفي صدورهم ، ليتحقق لهم صواب عملهم .

وهكذا ظل عثمان رضي الله عنه يتعاهد لجنة الكتابة ، حتى أتموا نسخ المصاحف وأرسلوها إلى الأقطار .

عثمان ناسخ للصحف البكرية ، وليس ناشئا لمصاحف جديدة

إن عثمان رضي الله عنه ما فعل بالمصاحف التي أرسلها إلى الأقطار ، سوى أنه نسخها من الصحف البكرية ، بالطريقة التي بيناها سابقا ، بدليل أن عثمان أرسل إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قائلا : (أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك) .

وعلى ذلك : فما يذكره بعضهم ـ خاصة من المؤلفين المعاصرين ـ من أن طريقة جمع عثمان كانت كطريقة جمع أبي بكر تماما ، من الرقاع والأكتاف ، ونحو ذلك ، غير صحيح ، لأنه تحصيل حاصل ، فلا يعقل أن يشغل عثمان الأمة بأمر قد فرغت منه في عهد أبي بكر ، وإن كانوا يتعللون بأن هذا زيادة في الاحتياط ومبالغة في التوثيق للنص القرآني ، وإلا لتطرق الشك في الصحف البكرية !! فهل الصحف البكرية لا يوثق فيها ، حتى يطلب عثمان من الأمة ما طلبه أبوبكر؟ إنْ هذا إلا عبث وافتراء بل كذب وهراء .

إن عثمان رضي الله عنه ، حدد هدفه بكل وضوح في عبارته لحفصة أم المؤمنين سالفة الذكر (أن أرسلي إلينا بالصحف ، ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك) . وإلا فما فائدة طلب هذه الصحف ؟ وما معنى قوله (ننسخها في المصاحف) ؟

---

١٠٠ ـ المقنع : ١٤ ط : مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .

١٠١ ـ البخاري ، كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة .حديث رقم ٤٥٣٠

إن الذين يقولون ذلك مستندهم روايات لا ترقى في صحتها إلى صحة ما ذكره البخاري في هذه الرواية .

وعلى فرض صحتها جدلا ، فإن عثمان كان يسأل مَنْ عنده شيء من الرقاع ونحوها لا للتثبت من قرآنية القرآن آية آية ، ولكن للتثبت من كيفية القراءة ببعض الألفاظ القرآنية ، وفرق كبير بين قرآنية الآية ، وكيفية قراءتها ، حيث أراد رضي الله عنه أن يحتوي رسم تلك المصاحف على كل القراءات المتواترة ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

والدليل على أن تحرّي عثمان لكيفية القراءة فقط : ما رواه أبو عمرو الداني في كتابه (المقنع) بإسناده أن عثمان قال : " يا أصحاب محمد ، اجتمعوا فاكتبوا للناس إماما يجمعهم ، قال : وكانوا في المسجد فكثروا ، فكانوا إذا تماروا في الآية يقولون : إنه

أقرأ رسول الله ﷺ فلان بن فلان ، وهو على رأس أميال من المدينة فيبعث إليه فيجئ ،فيقولون:كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا ؟ فيكتبون كما قال ."[١٠٢]

قال أبوشامة : " فأبو بكر جمع آيات كل سورة كتابة لها من الأوراق المكتوبة بين يدي النبي ﷺ ، وعثمان جمع السور على هذا الترتيب [الموجود الآن] في مصحف واحد ، ناسخا لها من صحف أبي بكر ، وأما ما روي من أن عثمان جمع القرآن أيضا من الرقاع ، كما فعل أبوبكر ، فرواية لم تثبت ، ولم يكن له إلى ذلك حاجة ، وقد كفيه بغيره ، فالاعتماد على ما قدمناه أول الباب ، من حديث صحيح البخاري " [١٠٣]

ويقول الشيخ عبد الوهاب غزلان أحد علماء الأزهر الشريف في القرن الماضي: " البحث عن الأشياء التي كتب فيها القرآن بين يدي النبي ﷺ ومقابلتها بالمحفوظ عند الصحابة كان في جمع أبي بكر رضي الله عنه " [١٠٤]

هل أسقط عثمان ستة أحرف

من الأحرف السبعة ، وأبقى حرفا واحدا ؟

لم يحدث ذلك مطلقا ، ولا يجوز ذلك له ، بل ليس في استطاعته رضي الله عنه .

يقول أبو عمرو الداني في كتابه (الأحرف السبعة):

"وَأَن أَبَا بكر رَضِي الله عَنهُ قصد فِي جمع الْقُرْآن إِلَى تثبيته بَين اللَّوْحَيْنِ فَقَط ورسم جَمِيعه . وَأَن عُثْمَان رَحمَه الله تَعَالَى أحسن وَأصَاب ووفق لفضل عَظِيم فِي جمع النَّاس على مصحف وَاحِد وقراءات محصورة وَالْمَنْع من غير ذَلِك ، وَأَن سَائِر الصَّحَابَة من عَليّ رَضِي الله عَنهُ وَمن غَيره كَانُوا متبعين لرأي أبي بكر وَعُثْمَان فِي جمع الْقُرْآن وَأَنَّهُمْ أخبروا بصواب ذَلِك وشهدوا بِهِ وَأَن عُثْمَان لم يقْصد قصد أبي بكر فِي جمع نفس الْقُرْآن بَين لوحين وَإِنَّمَا قصد جمع الصَّحَابَة على الْقرَاءَات الثَّابِتَة الْمَعْرُوفَة عَن الرَّسُول ﷺ وَألقى مَا لم يجر مجْرى ذَلِك وَأَخذهم بمصحف لَا

---

١٠٢ ـ المقنع : ٧

١٠٣ ـ المرشد الوجيز : ٧٥

١٠٤ ـ البيان في مباحث من علوم القرآن ، للشيخ عبد الوهاب غزلان : ٢١٣ ط دار التأليف .

تَقْدِيم فِيهِ وَلَا تَأْخِير ، وَأَنه لم يسْقط شَيْئا من الْقرَاءَات الثَّابِتَة عَن الرَّسُول ﷺ وَلَا منع مِنْهَا وَلَا حظر الْقِرَاءَة بهَا إِذْ لَيْسَ إِلَيْهِ وَلَا إِلَى غَيره أَن يمْنَع مَا أَبَاحَهُ الله تَعَالَى وَأطلقهُ وَحكم بصوابه وَحكم الرَّسُول ﷺ للقارئ بِهِ أَنه محسن مُجمل فِي قِرَاءَته وَأَن الْقُرَّاء السَّبْعَة ونظائرهم من الْأَئِمَّة متبعون فِي جَمِيع قراءاتهم الثَّابِتَة عَنْهُم الَّتِي لَا شذوذ فِيهَا وَأَن مَا عدا ذَلِك مَقْطُوع على إِبْطَاله وفساده وممنوع من إِطْلَاقه وَالْقِرَاءَة بِهِ فَهَذِهِ الْجُمْلَة الَّتِي نعتقدها ونختارها فِي هَذَا الْبَاب وَالْأَخْبَار الدَّالَّة على صِحَة جَمِيعهَا كَثِيرَة وَلها مَوضِع غير هَذَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق(١٠٥)

عثمان يرسل المصاحف إلى الأقطار

وبعد أن أتمت لجنة المصاحف العثمانية نسخها من الصحف البكرية ، أمر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بإرسال مصحف إلى كل قطر من الأقطار .

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : " حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ،فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا " (١٠٦)

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى :" ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف " (١٠٧)

عثمان يحرق المصاحف الأخرى

ولكي تتم الفائدة من نسخ هذه المصاحف ، وهي جمع الأمة على كتاب ربها ، قبل أن تختلف فيه اختلاف اليهود والنصارى ، أمر الخليفة عثمان رضي الله عنه بحرق كل مصحف آخر، حتى لا يكون للشيطان على المسلمين سبيل ، فيمزق وحدتهم، ويمرقون من الدين ، باختلافهم في كتاب رب العالمين .

أخرج البخاري في حديث نسخ عثمان للمصاحف بإسناده عن أنس ، قال: فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن ، في كل صحيفة ، أو مصحف ، أن يحرق " (١٠٨)

قال ابن حجر معلقا على هذا الحديث : " وفي رواية الإسماعيلي (أن تمحى أو أن تحرق)وفي رواية أبي قلابة(فلما فرغ عثمان من المصحف كتب إلى أهل الأمصار : إني قد صنعت كذا وكذا ، ومحوت ما عندي ، فامحوا ما عندكم).

ثم قال : " والمحو أعم من أن يكون بالغسل أو التحريق ، وأكثر الروايات صريح في التحريق ، فهو الذي وقع ، ويحتمل وقوع كل منهما ، بحسب ما رأى من كان بيده شيء من ذلك ، وقد جزم عياض بأنهم غسلوها بالماء ، ثم أحرقوها ، مبالغة في إذهابها " (١٠٩)

---

١٠٥ ـ الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني :٦٣

١٠٦ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن .حديث رقم ٤٩٨٧

١٠٧ ـ السنن الكبرى للبيهقي : كتاب الصلاة ، باب : الدليل على أن ما جمعه الصحابة كله قرآن : ٤٢/٢

١٠٨ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن .حديث رقم ٤٩٨٧

١٠٩ ـ فتح الباري :٦٣٧/٨

الأمة تحمد لعثمان فعله

إن ما قام به عثمان من نسخ الصحف البكرية في مصاحف متعددة ، وزعت على الأقطار لجمع الأمة على كتاب ربها ، لهو من أعظم الأعمال في تاريخ الأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولذلك وقفت الأمة كلها وراءه صفا واحدا حتى أنجز هذا العمل الجليل ، فنال رضا الله تعالى ، وثناء قادة الأمة وعلمائها .

أخرج ابن أبي داود في المصاحف بإسناده عن سويد بن غفلة الجعفي أنه قال :

" والله لا أحدثكم إلا شيئا سمعته من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، سمعته يقول : " يا أيها الناس ، لا تغلوا في عثمان ، ولا تقولوا له إلا خيرا ، في المصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملاٍ منا جميعا والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل " (١١٠)

وهكذا ثبت للقرآن الكريم تواتُرُه حفظا وكتابة في العهد النبوي ، وفي عهد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وورث التابعون هذا التواتر عن الصحابة، ثم ورثه تابعو التابعين عن التابعين، وهكذا كل طبقة عن طبقة ، إلى يومنا هذا ، وإلى يوم الدين ، تحقيقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩

ولقد شهد المنصفون من المستشرقين جميعا بهذه الدقة ، حتى ليقول المستشرق سير وليم ميور:

" والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ، ظل اثني عشر قرنا كاملا بنص هذا مبلغ صفائه ودقته " (١١١).

---

١١٠ ـ المصاحف : ٢٢ ، ٢٣

١٠٩- الصديق أبوبكر .محمد حسين هيكل :٣٢٢ـ ٣٢٣ ، [وتحديد وليم ميور اثني عشر قرنا من الزمان لأنه يتحدث عن المدة التي سبقت كلامه هذا ، ولوكان موجودا الآن لقال أربعة عشر قرنا كاملا وما يقارب نصف القرن الخامس عشر]

الفصل الثالث

شبهتان في التواتر وردهما

المبحث الأول

الشبهة الأولى : دعوى حصر الحفاظ من الصحابة في أربعة فقط في العهد النبوي

روى البخاري رحمه الله أثرين عن أنس رضي الله عنه ربما يحلو للمستشرقين وأحبابهم من المستغربين أن يطعنوا بهما في تواتر القرآن الكريم.

ونحن في هذا المقام نبدأ بذكر الأثرين ، ثم نُكِرُّ على الاستدلال بهما مفندين بطلان زعمهم ، ومبينين زيف ادعائهم .

الأثر الأول : أخرج البخاري في صحيحه بإسناده " عن قتادة قال :

سألت أنس بن مالك رضي الله عنه : من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار ،أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت وأبو زيد" (١١٢)

الأثر الثاني : عن أنس رضي الله عنه قال : " مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة ، أبو الدرداء ، ومعاذ ابن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد " (١١٣)

ونرد على هذه الشبهة من خلال محورين :

المحور الأول: من خلال الواقع المشاهد من الجميع .

المحور الثاني : من خلال مناقشة الأثرين من الناحية العلمية .

أما المحور الأول: فإن الواقع المشاهد من الجميع ، يفند حصر الحفاظ من الصحابة في العهد النبوي ، على العدد المذكور في هذين الأثرين .

والدليل على ذلك:١ـ تلك الروايات الصحيحة في البخاري نفسه وغيره عن عدد من الحفاظ في العصر النبوي . وقد سبق ذكر بعض هذه الروايات في المبحث الخاص بتواتر القرآن حفظا في العهد النبوي من صحابة رسول الله ﷺ .

---

١١٢ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ،باب القراء من أصحاب النبي ﷺ حديث رقم (٥٠٠٣)

١١٣ ـ البخاري : كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ حديث رقم (٥٠٠٤)

٢ـ ومن هذه الروايات المذكورة هناك رواية أنس نفسه عن سبعين قارئا من الأنصار غُدِر بهم من قِبَل قبائل رعل وذكوان وعصية وبني لحيان لما استمدوا رسول الله على عدو فأمدهم بهؤلاء السبعين ، فغدروا بهم وقتلوهم جميعا .

فراوي الأربعة هو أنس ، وراوي السبعين هو أنس أيضا . وكلا الحديثين في صحيح البخاري .

وواقعة السبعين ثابتة بالتواتر المسموع والمشاهد .

بعكس حديث حصر الحفاظ من الصحابة في أربعة فقط ، فلا يمكن لأحد إثبات ذلك

٣ـ وأيضا فعدد السبعين هذا له دلالة أخرى ، ألا وهي : كثرة الحفاظ من الصحابة في العهد النبوي ، فلئن كان هذا العدد قد أمد به النبي ﷺ قوما في مدد واحد ، فما بالنا بمن بقي من الحفاظ في الأمة كلها غير هؤلاء السبعين .

٤ـ تقدم أن سبب جمع القرآن في العهد البكري ، هو استشهاد عدد كبير من القراء الذين حفظوا القرآن في العهد النبوي .وهؤلاء الذي استشهدوا شيء ، والأربعة الذين ذكرهم أنس شيء آخر .

٥ـ العوامل التي سبق ذكر بعضها لحفظ الصحابة القرآن ، يستحيل أن تنتج أربعة فقط من الحفاظ في أحط العصور خلقا ودينا ، فكيف بتوافرها في أشرف القرون على الإطلاق؟

٦ـ حصر هؤلاء الحفاظ في أربعة من الأنصار، دون ذكر أحد من المهاجرين على الإطلاق ، كلام لا يصدقه أي عاقل .

٧ـ إخراج الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ، من قائمة الحفاظ ، وكذلك إخراج كل أزواج النبي ﷺ من تلك القائمة ، لم يقل به أحد ، فضلا عن معارضته للواقع المشهود والمشهور، عن هؤلاء الخلفاء وعن بعض أمهات المؤمنين، الذين أمرهن الله بقوله تعالى﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٤ ولذلك تناقل العلماء عد بعضهن ضمن الحفاظ ،كعائشة وحفصة وأم سلمة رضي الله عنهن ، كما سبق ذكرهن .

<u>المحور الثاني للرد على هذه الشبهة من خلال مناقشة الأثرين من الناحية العلمية .</u>

فإذا جئنا إلى مناقشة هذين الأثرين مناقشة علمية ، وجدناهما لا يصلحان مطلقا للطعن في تواتر القرآن الكريم ، لما يأتي :

١ـ لا يمكننا الأخذ بظاهر الحديثين معا ، لتعارضهما من جهتين .

الجهة الأولى : أن أحدها يفيد الحصر في أربعة ، والآخر لا يفيد الحصر .

الجهة الثانية : أن الأثر الذي يفيد الحصر لم يذكر فيه أبي بن كعب ، وإنما ذكر أبا الدرداء بدلا منه ، والآخر ذكر فيه أُبَيّ ولم يذكر فيه أبو الدرداء.

وعلى هذا يكون أنس قد جزم في حديث الحصر أن أبيا لم يجمع القرآن ، وجزم في الأثر الآخر أنه جمعه ، وذلك تناقض واضح .

وبناء عليه : فإما أن يؤل هذان الأثران تأويلا يوافق الواقع ، وإما أن يردا ، ولو ردهما أحد لتناقضهما فما عليه من سبيل، لأنه لم يرد حديثا ثابتا عن رسول الله وإنما رد كلاما من اجتهاد أنس ، وهذا الاجتهاد خالف الواقع والمشاهد ، وهو كأي بشر يؤخذ من كلامه ويرد .إذا خالف الصواب .

أما إذا أردنا عدم ردهما ، وتأويلهما بما يتفق مع الواقع فإننا نقول :

<u>إن الحصر الوارد في أحدهما إما حصر إضافي ، وإما حصر حقيقي .</u>

<u>فإن كان إضافيا فلا مشكلة إذًا ، ولا طعن في تواتر القرآن .</u>

ولقد أوله العلماء عدة تأويلات ، فمنهم من قال :

أ ـ إن أنسا لم يقارن بين الأربعة وبقية الأمة ، وإنما قارن بينهم وبين جماعة معينة تعلق بهم ذهنه لغرض معين وقت الكلام ، ولذلك ذكر أبيا في أثر ، وأبا الدرداء في أثر آخر ، وذلك على طريقة قوله تعالى﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ ﴾الأنعام: ١٤٥ حيث كانوا يحرمون ما أحل الله ، ويحلون ما حرم الله ، فكأن الله قال لهم بهذا الحصر : لا حرام إلا ما أحللتموه ، ولا حلال إلا ما حرمتموه .

فأنس لم يقصد الحصر الحقيقي ، بدليل أنه هو الراوي لحديث السبعين قارئا المغدور بهم من قِبَل رِعْل وذكوان وعصية وبني لحيان .

ب ـ ومن العلماء من قال : إن المراد بالأربعة أنهم ـ دون غيرهم ـ هم الذين جمعوا القرآن على جميع قراءاته ووجوهه .

ت ـ ومنهم من قال : إنه لم يجمعه مكتوبا إلا هؤلاء الأربعة .

ث ـ ومنهم من قال : إنه لم يأخذه كله مباشرة من فم النبي ﷺ إلا هؤلاء الأربعة .

وبناء على تلك التأويلات المبنية على أن الحصر إضافي فإن هذين الأثرين لا يطعنان في تواتر القرآن الكريم .

أما إذا كان الحصر حقيقيا فلا يطعن أيضا في تواتر القرآن الكريم ، لما يأتي :

١ـ لأن هذا كان من اعتقاد أنس ، المخالف للواقع ، بدليل تلك الروايات الدالة على كثرة الحفاظ من الصحابة وقد ذكرنا بعضها سابقا.

قال القاضي أبو بكر بعد أن ذكر بعضا من هذه الروايات:

" ومن تأمل مجيئ هذه الأخبار وألفاظها ، علم وتيقن أن أمر القرآن كان بينهم ظاهرا منتشرا ، وأن حفاظه إذ ذاك كانوا في الأمة عددا عظيما ، وخلقا كثيرا " (١١٤)

ويصفها بدر العيني أيضا بقوله : " وقد ظهر من هذا أن الذين جمعوا القرآن على عهده لا يحصيهم أحد ، ولا يضبطه عدد " (١١٥)

٢ـ إن الإحصاء المعتبر ، والحصر المعتمد ، هو ما قام صاحبه بعمل استبانة ميدانية واقعية ، قائمة على أعلى درجات الدقة والتحري، بحيث لا يترك شاردة ولا واردة إلا أخضعها للفحص والدراسة .

وهذا ما لم يقم به أنس رضي الله عنه ، بل لم يكن في مقدوره إذا أراد .

حيث لم يقابل جميع الصحابة فردا فردا ، وما سألهم عن جمعهم ، وما أخبره كل فرد أنه لم يجمعه . لأن ذلك خارج عن استطاعته ، لكثرة الصحابة من ناحية ، ولتفرقهم في القرى والأمصار من ناحية أخرى .

قال المازري فيما ينقله عنه ابن حجر رحمهما الله تعالى : " لا يلزم من قول أنس (لم يجمعه غيرهم) أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك ، لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه ، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة ، وتفرقهم في البلاد وهذا لا يتم ، إلا أن كان لقي كل واحد منهم على انفراده ، وأخبرهم عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النبي ﷺ ، وهذا في غاية البعد في العادة وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك . " (١١٦)

٣ـ لو افترضنا جدلا ـ وهذا مالا يصح بحال ـ أن هؤلاء الأربعة انفردوا في العهد النبوي بجمع القرآن كله ، من أول آية منه ، إلى آخر آية منه ، فإن هذا أيضا لا يطعن في تواتر القرآن .

فقد سبق أن ذكرنا أثناء الحديث عن شروط التواتر في بداية هذا البحث ، أنه ليس من شرط التواتر أن يحفظه من أوله إلى آخره عدد يحصل به التواتر ، وقلنا هناك ما نصه : فتواتر القرآن لا يشترط فيه ذلك ، بل لو حفظ كلَّ سورةٍ منه ، أو جزءًا

---

[١١٤] ـ المرشد الوجيز :٦٣
[١١٥] ـ عمدة القاري :٢٠٩/١٦
[١١٦] ـ فتح الباري : ٦٦٩/٨

منها عددٌ يحصل به التواترُ لكفى ذلك في تواتر القرآن الكريم كله ، حتى لو لم يحفظ هذا العددُ غيرَ تلك السورةِ ، أو غيرَ ذلك الجزءِ .

يقول القاضي أبوبكر ـ كما جاء في عمدة القارئ :
" ليس من شروط التواتر أن ينقل جميعُهم جميعَه ، بل لو حفظ كلَّ جزء منه عددُ التواتر لصار الجميع متواترا ، وقد حفظ جميعَ أجزائه مئون لا يُحْصَوْن " [١١٧]
ويؤكد المازري هذا المعنى ، كما ينقل عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري فيقول :" ليس من شروط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه ، بل إذا حفظ الكلَّ الكلُّ ، ولو على التوزيع كفى " [١١٨]
٤ـ ثم إن أنسا لم يتحدث عن الحفاظ في عصر الصحابة ، وإنما تحدث عن الحفاظ في العهد النبوي ، وكلامه لو أخذناه على ظاهره فإن هذا لا يعني حصر الحفاظ من الصحابة في أربعة فقط حتى مات الصحابة كلهم ، فإن الآلاف المؤلفة من الصحابة قد أكملوا ما لم يكمل حفظه في حياته ﷺ ،ولكن لم تنقل إلينا أسماؤهم نظرا لكثرتهم من ناحية ، ولعدم اهتمام العلماء بضبط حفاظ كل عصر من ناحية أخرى .
فكثرتهم في كل عصر أصبح علمها من البداهة بحيث لا يحتاج إلى إحصاء .

قال الحافظ الذهبي عن الحفاظ من الصحابة في كتابه (معرفة القراء):

" وأما من جمعه منهم ، ولم يتصل بنا فكثير " [١١٩]

المبحث الثاني

<u>الشبهة الثانية :</u> دعوى عدم تواتر آيتي آخر التوبة ، وآية الأحزاب

جاء في أحاديث جمع القرآن الكريم التي سبق أن ذكرناها في الجمع البكري أن زيدا ابن ثابت رضي الله عنه قال :

١ـ " فتتبعت القرآن أجمعه ، من العسب واللخاف ، وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة ، مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة

---
١١٧ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني:٢٠٩/١٦ ط مصطفى الحلبي .
١١٨ ـ فتح الباري :٦٦٩/٨
١١٩ ـ نقلا عن البرهان للزركشي :٢٤٢/١

٢- ويقول أيضا : " فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الأحزاب

أقول : قد يحلو للأفاكين أن يطعنوا في تواتر هذه الآيات ، استنادا لهذا الذي صرح به زيد بن ثابت ، ولكن هذا لا يدل لهم كما يشتهون .

وتوضيح ذلك كما يأتي:

١ــ فزيد ــ كما سبق في كيفية جمعه للقرآن ــ لم يكن يكتفي بالحفظ فقط ، ولا بالمكتوب فقط ، بل كان يعتمد في جمعه على المصدرين معا ، كما صرح به في هذا النص السابق ، ومراده هنا أنه لم يجدها مكتوبة إلا مع هذين الصحابيين الجليلين .

قال الحافظ ابن حجر : " قوله (لم أجدها مع أحد غيره) ، أي مكتوبة ،لما تقدم من أنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ، ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبي ﷺ ، وإنما كان زيد يطلب التثبيت عمن تلقاها بغير واسطة " .

إلى أن يقول :" والحق أن المراد بالنفي نفي وجودها مكتوبة لا نفي كونهامحفوظة "[١٢٠].

٢ــ ومما يدل على أن هذا المفقود كان مفقودا كتابة لا حفظا ، تلك الألفاظ التي عبر بها زيد بن ثابت نفسه في قوله : (فقدتُ آية من الأحزاب)، وفي قوله : (فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة).

فقوله :(فقدتُ)، دليل على أنها محفوظة ، وإلا فكيف عرفوا فقدها ، وقوله : (فالتمسناها) ، يدل على أنهم يبحثون عنها مكتوبة ،وإلا فكيف يبحثون عن شيء مجهول ، لا يحفظونه أصلا ؟

إنهم كانوا يحفظونها جيدا ، بل وكانوا يعرفون موضعها من سورتها تماما ، ولذلك قال زيد :(فألحقناها في سورتها في المصحف).

ومن ألفاظ زيد أيضا التي تدل على أن هذا المفقود كان مفقودا كتابة لا حفظا ،قول أبي بن كعب فيما أخرجه ابن أبي داود بإسناده عن أبي العالية : إنهم جمعوا القرآن في مصحف ، في خلافة أبي بكر ، فكان رجال يكتبون ، ويملي عليهم أبي بن كعب

١٢٠- فتح الباري ٦٢٣/٨ .

فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ التوبة: ظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن ، فقال أبي : إن رسول الله ﷺ قد أقرأني بعدهن آيتين ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة .([121])

٣- ومما نرد به على أولئك الذين يريدون التشكيك في تواتر آخر التوبة وآية الأحزاب لوجودها مكتوبة عند شخص واحد ،أن المعول عليه ـ كما أكدنا على ذلك مرارا ـ هو الحفظ لا الكتابة ، فحتى لو لم يجد زيد هذه الآيات المكتوبة عند من وجدها ، فإن ذلك لا يضير القرآن في شيء ، ذلك أن الأمة كانت تحفظ هذه الآيات ، ولولا أنها كانت تحفظها ما أجمعت على كتابتها ، فليس من المعقول على الإطلاق أن يخص الرسول ﷺ ، من وجدت عنده هذه الآيات بالتبليغ وحده ، دون سائر الأمة ، بدليل أحاديث متعددة ، ذكرنا بعضها سابقا ، تدل على أن الصحابة كانوا يحفظونها ، وإنما الذي كانوا يفتقدونه هو كتابتها فقط .

وبذلك يتضح أن الآيات التي فقدها زيد أثناء جمعه ، ولم يجدها مكتوبة إلا عند شخص واحد ، متواترة تواتر جميع آيات القرآن الكريم ، ولا حجة لمن في قلبه مرض إذا ذهب لغير ذلك .

---

[121]- المصاحف لابن أبي داود : ٥٦/١ باب جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه القرآن .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث يطيب لي أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها ، وهي كما يأتي:

١ـ المقصود بتواتر القرآن : أنه قد رواه جمع يحصل العلم الضروري (أي الثابت للعامي وغيره) بصدقهم ، بحيث لا يمكن اتفاقهم على الكذب، عن مثلهم ، من أول العهد النبوي إلى الآن وإلى يوم الدين ، وكان مستندهم الحس، وهو السماع والمشاهدة أي أن تواتر القرآن حدث عن طريق الحفظ في الصدور، والكتابة في السطور.

٢ـ المُعَوَّلُ عليه في تواتر القرآن هو التواتر السماعي ، لا الكتابي ، بمعنى أن القرآن يكفي في تواتره السماع ، ولو لم يكتب مطلقا فما ضر ذلك تواتره في شيء.

٣ـ ليس من شرط التواتر أن يحفظ كلُّ فرد في عدد التواتر القرآنَ كله من أوله إلى آخره ، فلو أن كلَّ سورةٍ حفظها عددُ التواتر دون أن يحفظ هذا العددُ غيرَها لثبت التواترُ للقرآن كله.

٤ـ هيأ الله تعالى لنبيه ﷺ عدة عوامل ، لحفظ القرآن الكريم ، كان على رأسها ضمانُ الله لنبيه ﷺ ثلاثةَ أشياء ، جمعه في قلبه ، وقراءته بلسانه ، وبيان معناه ، وذلك بقوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة

٥ـ كما هيأ الله لصحابة رسول الله ﷺ عدة عوامل أيضا ، جعلتهم يحفظون القرآن كله عن ظهر قلب حفظا جيدا ، وينقلونه للتابعين ، وقد كثر الحفاظ من الصحابة كثرة لا يحصيها عدد ، ولا يستطيع أحد حصرهم ، نظرا لتفرقهم في القرى والأمصار ، ولعدم اعتناء الناس بإحصاء عددهم.

٦ـ سبب كتابة القرآن في العهد النبوي : هو المبالغة في اتخاذ كافة الاحتياطات لضمان سلامة النص القرآني ، وذلك عن طريق زيادة مصدر آخر مكتوب في السطور إضافة إلى المصدر المحفوظ في الصدور ، فلعل المسلمين يحتاجون إليه في يوم ما وقد أثبتت الأيام صدق ذلك ، حيث حدثت ظروف في العهد البكري دعت إلى وجوب الرجوع إلى هذا المكتوب بين يدي النبي ﷺ.

٧ـ سبب الكتابة في العهد البكري : هو التخوف من موت الحفاظ ، وضياع شيء مما يحفظونه ، حيث قتل عدد كبير في معركة اليمامة منهم ، فأجمعت الأمة أمرها

على كتابة القرآن كله في مصحف واحد بين دفتين يكون مرجعا لها عند الحاجة ، وقد أثبتت الأيام صدق ذلك أيضا ، حيث حدثت ظروف في العهد العثماني أوجبت على المسلمين الرجوع إلى الصحف البكرية.

٨- سبب كتابة القرآن في العهد العثماني : هو تنازع المسلمين في قراءة القرآن الكريم حتى كفر بعض الناس بعضا ، نتيجة لجهل بعضهم بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ونتيجة لقراءة بعضهم آيات نسخت تلاوتها ، ولم يعلموا بنسخها ، بينما علم الآخرون بنسخها ، فأنكر كل فريق على الآخر موقفه.

فأراد الخليفة عثمان رضي الله عنه توحيد المسلمين في كل قطر ، بكتابة مصحف إمام لهم ، منه ينسخون ، ومنه يحفظون ، وإليه يرجعون ، فلا يتنازعون.

٩- ما فعله أبو بكر رضي الله عنه هو كتابة القرآن من نفس الأشياء المكتوبة بين يدي النبي ﷺ ، وما فعله عثمان هو كتابة القرآن من نفس الصحف البكرية التي كتب فيها القرآن.

وبناء عليه فإن المصحف الذي بين أيدينا الآن متصل السند الكتابي إلى النبي ﷺ.

١٠- وبناء على ما سبق أيضا ، فإن عثمان ناسخ للصحف البكرية ، وليس ناشئا لمصاحف جديدة.

١١- المصاحف العثمانية اشتملت على الأحرف السبعة ، ولم تقتصر على حرف واحد ، أما ما يدعيه بعض العلماء من أن عثمان رضي الله عنه اقتصر على حرف واحد ، وحذف الأحرف الستة الأخرى فذلك قول باطل ، لم يفعله عثمان ، ولا يستطيع أحد أن يفعله ، لا عثمان رضي الله عنه ، ولا غير عثمان.

١٢- ثبت للقرآن الكريم تواتُرُه حفظا وكتابة في العهد النبوي ، وفي عهد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

وورث التابعون هذا التواتر عن الصحابة، ثم ورثه تابعو التابعين عن التابعين، وهكذا كل طبقة عن طبقة ، إلى يومنا هذا ، وإلى يوم الدين ، تحقيقا لقوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر

المراجع

١- القرآن الكريم .
٢- الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ط المكتبة الثقافية ببيروت .
٣- الأحرف السبعة لأبي عمرو الداني . مكتبة المنارة . مكة المكرمة ١٤٠٨هـ
٤- البداية والنهاية لابن كثير ط دار إحياء التراث العربي ١٩٨٨م .
٥- البرهان في علوم القرآن للزركشي ط دار التراث
٦- البيان في مباحث من علوم القرآن ، للشيخ عبد الوهاب غزلان ط دار التأليف
٧- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير والنذير ، في أصول الحديث ، لمحيي الدين النووي ط دار الكتاب العربي ببيروت .
٨- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ط دار طيبة .
٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي . ط دار الثقافة المصرية
١٠- الحديث والمحدثون ، للشيخ محمد محمد أبو زهو ط دار الفكر العربي بالقاهرة ١٣٧٨هـ .
١١- ديوان ديك الجن راغب الحمصي ، تحقيق أحمد مطلوب ، وعبدالله الجبوري ، ط دار الثقافة بيروت .
١٢- سنن الترمذي ط دار الكتب العلمية
١٣- سنن أبي داود :ط دار الفكر العربي
١٤- السنن الكبرى للبيهقي.ط دار إحياء الكتب العربية
١٥- صحيح مسلم.ط دار إحياء الكتب العربية
١٦- صحيح البخاري ط عيسى الحلبي
١٧- الصديق أبوبكر .محمد حسين هيكل ، ط مكتبة النهضة المصرية
١٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ط مصطفى الحلبي .
١٩- فتح الباري : ٦٦٩/٨ طبعة الريان بالقاهرة .
٢٠- فضائل القرآن لابن كثير ، ط عيسى الحلبي
٢١- قالوا عن الإسلام لعماد الدين خليل
٢٢- لسان العرب لابن منظور ، ط دار صادر ببيروت .
٢٣ - لطائف الإشارات للقسطلاني ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
٢٤- المرشد الوجيز لأبي شامة ط دار صادر
٢٥- المستشرقون ، لنجيب العقيقي ط دار المعارف بمصر ط٣ سنة١٩٦٤م .
٢٦- مسند أحمد . ط الرسالة

٢٧ـ المصاحف ط الفاروق بمصر ٢٠٠٢م
٢٨ـ مفاتيح الغيب للفخر الرازي ط دار إحياء التراث العربي
٢٩ـ المقنع ط مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .
٣٠ـ مناهل العرفان ط المطبعة الفنية
٣١ـ منهج النقد في علوم الحديث لنور الدين عتر ط دار الفكر بدمشق ط الثالثة : ١٩٩٧م
٣٢ـ الموطأ ، للإمام مالك ، ط الشعب
٣٣ـ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ، في مصطلح أهل الأثر ، للحافظ ابن حجر العسقلاني : ٣٧ ، ٣٨ ط سفير بالرياض ١٤٢٢هـ ، تحقيق عبد الله الرحيلي
٣٤ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ط الريان

الفهرس